

منزلة صدر الدين القونوي وأثره في الفكر الإسلامي

حمادي ذويب
باحث تونسي



قسم الدراسات الدينية

ومن مظاهر تداول كتاب النصوص كثرة مخطوطاته إن في تركيا أو في مصر أو في برلين وليدن،⁴ وقد طبع هذا الكتاب عدّة طبعات حجرية، ثمّ حديثة ابتداء من القرن التاسع عشر.⁵

وتعدّ كثرة الشروح التي وضعت على كتاب النصوص من أهمّ المؤشّرات على القيمة الكبرى التي منحت له ولصاحبه. ومن أهمّ هذه الشروح "مشرع الخصوص إلى معاني النصوص"⁶ لعلاء الدين علي بن أحمد المهائمي الحنفي (ت 835 هـ)، وهو من علماء الهند ومتصوّفاتها. وكان مثبّتا لوحدة الوجود اقتفاء بابن عربي. كما كان من شراح "فصوص الحكم"⁷.

وشرح كتاب "النصوص" أيضا بير محمد بن قطب الدين الخوئي الحنفي (كان حيا سنة 856 هـ)، وقد سمّى شرحه هذا بـ"زبدة التحقيق ونزهة التوفيق"، مثلما يظهر في الصفحة الأولى من إحدى مخطوطات هذا الشرح.⁸

ويخبرنا الشارح في الصفحة الأخيرة من هذا الشرح أنّه شرع فيه في أوائل شهر رجب سنة 856 هـ، وأنّه فرغ منه في السنة نفسها.

وقد ذكر حاجي خليفة شارحا آخر لكتاب "النصوص" هو محيي الدّين محمد بن قطب الدّين الأزنيقي (ت 885 هـ)، وبين أنّ عنوان شرحه هو "زبدة التحقيق ونزهة التوفيق". وهذا يعني أنّه نفس عنوان الشرح السابق للخوئي. وهنا كان ينبغي أن نتوقّف للتحقق من المسألة وقد تأكّد لدينا أنّ هذا الإشكال حصل لدى الباحث المصري إبراهيم محمد ياسين أثناء تحقيقه لكتاب "النصوص" للقونوي؛ ففي الصفحة السابعة منه يقول إنّهُ تمكّن من الحصول على نسختين كاملتين من شرحين من شروح كتاب النصوص، أحدهما موسوم بزبدة التحقيق لمؤلّفه محمد بن قطب الدّين الخوئي. وبعد ذلك يقول في هامش الصفحة التاسعة عشرة إنّ هذه النسخة

⁴ - راجع مثلا الخواجوي في مقدمته على ترجمة الفوكوك بالفارسية فقد ذكر خمسة عشر مخطوطا لكتاب "النصوص" في المكتبات التركية.

⁵ - طبع كتاب النصوص بهامش منازل السائرين في طهران سنة 1315 هـ وهي طبعة حجرية. وطبع طبعة أخرى بهامش كتاب "تمهيد القواعد" لابن تركة الأصفهاني، طهران، 1316 هـ/1898-1899 م. وفي هذه الطبعة أطلق عليه اسم "مفتاح مفاتيح الفصوص" وطبع طبعة ثالثة حديثة بمدينة مشهد سنة 1400 هـ مع تعاليق للميرزا هاشم الأشكوري والسيد جلال الدين الأشثياني. وصدر أيضا عن مكتب الإعلام الإسلامية من الكتب الصوفية باسم "نور العرفان الإصدار الثاني". وظهرت طبعة لهذا الكتاب بمصر سنة 2003 بتحقيق الدكتور إبراهيم محمد ياسين رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة المنصورة.

⁶ - حقّه أحمد فريد المزيدي ونشرته دار الكتب العلمية ببيروت سنة 2008، (272 صفحة). كما طبع هذا الكتاب مكتب الإعلام الإسلامي بمدينة قم بتحقيق السيد جلال الدين الأشثياني.

⁷ - انظر ترجمته لدى القنوي، أبجد العلوم 220/3-221

⁸ - نقصد مخطوطة جامعة برنستون التي تشتمل على 155 صفحة. والملاحظ أنّه توجد عدّة مخطوطات من هذا الشرح بمكتبات تركية.

لمحمد بن فضل الدين الأزنيقي⁹. والمرجع أن الاسمين هما لشخص واحد، وأن الاسم الثاني محمد بن فضل الدين الأزنيقي أخطأ المحقق في قراءة كلمة فضل، والمرجح في نظرنا أنها قطب الدين. وما يدعم هذا الترجيح أن أزنيق ليست اسم عائلة، وإنما هي مدينة تركية تقع في أقصى شمال غرب الأناضول في إقليم مرمرة. ويتأكد هذا الرأي أيضا من خلال ما وجدناه من معطيات في مخطوط جامعة برنسون؛ فقد كتب على غلاف هذا المخطوط: شرح نصوص قنوي لقطب الدين الأزنيقي المعروف بابن أشرف. وفي الصفحة السادسة منه نجد الاسم الآخر؛ حيث يقول: "يقول العبد الفقير المحتاج إلى الربّ الوهاب الغنيّ بير محمد بن قطب الدين الخوئي الحنفي". وبناء على هذا، نستطيع أن نقرّ أن الاسمين هما لشخص واحد توفي سنة 885 هـ، وأن ما وقع من التباس وخط لدى بعض الباحثين¹⁰ نتيجة لما وقع فيه حاجي خليفة من خطأ.

وظهر في القرن العاشر للهجرة شرح آخر لكتاب النصوص للشيخ بايزيد خليفة بن عبد الله الرومي (توفي في حدود سنة 910 هـ)، وهو من مشايخ السلطان بايزيد الثاني ومن آثاره "حاشية على فصوص الحكم" لابن عربي، و"تفسير الفاتحة"، و"شرح النصوص في تحقيق الطور المخصوص"¹¹.

وفي أواخر القرن العاشر شرح كتاب "النصوص"¹² الشيخ مصلح الدين مصطفى المعروف بنور الدين زاده (ت 981 هـ). وقد كان قاضيا في مدينة أدرنة، وتولى مشيخة الزاوية بأيا صوفية وصنّف تفسيراً للقرآن يقف عند نهاية سورة الأنعام. وممن تأثر بهم هذا الشيخ، بالي أفندي (ت 959 هـ) الذي كتب شرحا مفيدا على "فصوص الحكم" لابن عربي.

وبرز في القرن الموالي شرح على "النصوص" للقطبي، وهو عبد الكريم بن أكمل الدين أحمد بن محمد قاضي خان العدني النهرواني القطبي الحنفي. ولد بمكة (وتوفي بها سنة 1055 هـ). وبرز في القرن الثاني عشر شرح "للنصوص" لإبراهيم الخلوتي¹³. والمرجح أنه الشيخ إبراهيم بن محمد النكساري الرومي الخلوتي الشهير بنسيمي زاده المتوفى في حدود سنة 1100 هـ له "برهان الألحان في حكم الرقص والدوران"¹⁴.

⁹ - محمد بن فضل الدين الأزنيقي، زبدة التحقيق ونزهة التوفيق في شرح النصوص لصدر الدين القونوي، نسخة خطية رقم 1047 تصوف مكتبة طلعت بدار الكتب المصري وعدد أوراقها 203 ورقة ويرجع تاريخ نسخها إلى سنة 856 هـ.

¹⁰ - هذا الخط وقع فيه أيضا محقق كتاب أسماء الله للقونوي حيث نقل عن بروكلمان وجود نسخة لشرح النصوص في باريس 3/386 لمحمد بن قطب الدين الخوئي ثم ذكر نسخة أخرى بعنوان زبدة التحقيق ونزهة التوفيق، لمحبي الدين محمد بن قطب الدين الأزنيقي.

¹¹ - راجع البغدادي، هدية العارفين، استانبول، 1951، 230/1

¹² - توجد نسخة مخطوطة من هذا الشرح بمكتبة شهيد علي باشا 1278

¹³ - توجد منه نسخة في مكتبة راغب باشا / 699

¹⁴ - البغدادي، هدية العارفين، 18/1

ويذكر حاجي خليفة شرحاً آخر لكتاب "النصوص" لإبراهيم بن إسحاق بن سليمان التبريزي سمّاه "أسرار السرور بالوصول إلى عين النور" أوّله الحمد لله في ذاته وأسمائه وصفاته¹⁵. والظاهر أنّ عمر رضا كحالة أخطأ في تاريخ وفاته فقد جعله سنة 673 هـ؛¹⁶ أي اعتبره من معاصري صدر الدين القونوي، إلا أننا لم نعلم أبداً بوجود هذا الشخص في عصر القونوي، ولا بوجود شرح لكتاب "النصوص" في حياة القونوي. والملاحظ أنّ بعض الباحثين لا يذكرون اسم التبريزي، وإنما السيروزي أو السرازي¹⁷ ومن هذا الشرح عدة مخطوطات في مكتبات تركية.¹⁸

2- مفتاح غيب الجمع والوجود

عدّ هذا الكتاب على الدوام المصنّف الرّئيس للقونوي¹⁹. وقد ذكره صاحبه في كتاب آخر له هو "النفحات الإلهية" ضمن النفحة التاسعة قائلاً: "وقد ذكرت سرّ الأثر والإمداد والاستمداد والنكاح وأمّهات مراتبه، وأنها خمسة وما ظهر بكلّ نكاح منها في أوّل كتاب "مفتاح غيب الجمع" وتفصيله من تصانيفي"،²⁰ وقد أضحى هذا الكتاب سلطة مرجعية لتلاميذ القونوي، ومن بعدهم من أعلام التصوّف من ذلك ما اقتبس منه القيصري (ت 751هـ) قائلاً: "وقد صرّح شيخنا رضي الله عنه في كتاب المفتاح: "أنّ من علامات الكامل أن يقدر على الإحياء والإماتة وأمثالها".²¹

ويمكن أن ننظر في أثر هذا الكتاب في الفكر الإسلامي من خلال مستويات عدّة؛ فعلى صعيد أوّل كان يتمّ تدريس هذا الكتاب في المدارس الإيرانية بعد التيقّن من إتقان الطّلبة لأكثر النّصوص الفلسفيّة عسراً.²² وظلّ يعتبر في هذه المدارس أبرز كتاب في الغيبيّات. وكان الطّلبة يدرسونه رفقة شرح الفناري بعد دراستهم

¹⁵ - حاجي خليفة، كشف الظنون، 1907/2

¹⁶ - كحالة، معجم المؤلفين، بيروت، مكتبة المثنى، 12/1

¹⁷ - راجع الخواجوي في مقدّمته على الفوك.

¹⁸ - المرجع نفسه.

¹⁹ - انظر ستيك، صدر الدين القونوي (Sadr al-Din al-Kunawi)، دائرة المعارف الإسلامية ط2، (بالفرنسية) 775/8

²⁰ - القونوي، النفحات الإلهية، طهران، انتشارات مولى، 1417هـ/1996-1997

²¹ - راجع حسن زاده أملّي، سرّح العيون في شرح العيون، ص 62 وهو منشور على الموقع:

<http://dc304.4shared.com/img/JVVDdW88/preview.html>

²² - انظر:

N.Hanif/Biographical encyclopaedia of sufis, central

Asia and Middle East, Sarup and sons, New Delhi, 2002, p. 412.

لفصوص ابن عربي²³. وقد أضحى "مفتاح الغيب" وشرحه "مصباح الأنس" من المراجع الأولى لتدريس التصوف الفلسفي في تركيا وإيران بشكل خاص²⁴. وصرّح بروكلمان "أنّ مفتاح الغيب مدخل علمي لمعرفة الحقيقة الإلهية وأسرارها"²⁵.

وتبدو أهمية هذا الكتاب على صعيد آخر من خلال كثرة مخطوطاته الموجودة في مكتبات عدّة بلدان كألمانيا وتركيا وبريطانيا ومصر والهند²⁶ وتتوفّر اليوم نسخة إلكترونية لإحدى مخطوطات هذا الكتاب بشبكة الأنترنت²⁷. ولا شك أنّ الانتشار الجغرافي لمخطوطات هذا الكتاب أحد المؤشّرات المهمة على الأهمية التي منحت له، إلا أنّ هذا المؤشّر غير كاف بمفرده في الفكر الإسلامي القديم؛ ذلك أنّ قيمة كتاب ما تستمدّ أساساً من الشروح التي وضعت عليه. وسنعمد في التعريف بهذه الشروح مقياس الترتيب التاريخي، وأول الشروح في هذا الصدد "مصباح الأنس بين المعقول والمنقول في شرح مفتاح غيب الجمع والوجود"²⁸ لمحمد الفناري (ت 834هـ). وكان هذا الرمز المهمّ في مدرسة ابن عربي أول شيخ إسلام عثماني، كما كان قاضياً بمدينة بورسا التركية؛ حيث لا يزال بالإمكان زيارة ضريحه. وقد أضحى كتابه "مصباح الأنس" نصّاً تأسيسياً مهمّاً لدى الطّرق الصّوفية في تركيا وإيران. ولا يزال محلّ درس إلى اليوم²⁹. وهذا ما جعل هذا الشرح يحظى باحترام كبير من لدن علماء الشيعة المتصوّفين³⁰. وقد تجلّى هذا الاحترام من خلال الشروح والتعليقات التي وضعت على هذا الشرح منها شرح مجهول موسوم بـ"مطالع السعود: شرح مفتاح غيب الجمع والوجود"³¹.

²³ - انظر:

Chittick, The last will and testament of Ibn Arabi's foremost disciple, Sadr al-Din Qunawi. www.ibnarabisociety.org/articles/sadraldinWill.html

²⁴ - انظر:

Seyyed Hossein Nasr, Theoretical Gnosis and doctrinal sufism and their significance today

²⁵ - مقدّمة المحقّق لكتاب القونوي، أسماء الله الحسنى.

²⁶ - المرجع نفسه.

²⁷ - www.daraleman.net/uploads/Mifta7alGheib.pdf

²⁸ - طبعة طهران 1323 هـ/1905م.

²⁹ - انظر:

Jane Clark and Denis Mc Auley, some notes on the manuscripts of Ibn Arabi, reprinted from the journal of the Muhyiddin Ibn Arabi Society, vol 40, 2006. (www.ibnarabisociety.org)

³⁰ - انظر:

Muttahhari Murtaza, An introduction to irhan, Al Tawhid IV, 1, 1407/1986

³¹ - هذا مخطوط غير مؤرّخ ومجهول المؤلف محفوظ ضمن المخطوطات الإسلامية.

وتواصل في القرن التاسع اهتمام علماء المذهب الحنفي بمفتاح الغيب؛ فقد تصدّى أحد تلاميذ الفناري، وهو محمد بن قطب الدين الأزنيقي لشرحه. وقد وصف ابن العماد (ت 1089 هـ) هذا الشرح بكونه في غاية الحسن معتبرا أنّ صاحبه ممّن سعوا إلى الجمع بين العلوم الشرعيّة والتصوّف.³² والظاهر أنّ هذا الشرح الذي تتوفّر منه عدّة مخطوطات بمكتبات تركية³³ كان موجّها للمبتدئين على عكس شرح الفناري الذي كان يتّجه إلى طلاب المستويات العليا.³⁴

وفي أواخر القرن التاسع للهجرة، استقرّ الملاّ أحمد إلهي (ت 896 هـ) الذي ينتمي إلى بخارى في مدينة بورسا، وترجم "مفتاح الغيب" لصدر الدين القونوي إلى الفارسية بطلب من السلطان محمد الفاتح، وذلك خلال سنة 880 هـ/1475م³⁵، والملاحظ أنّ أحد الباحثين الأتراك لا يصف هذا العمل بأنّه ترجمة، وإنما يعتبره شرحا لمفتاح الغيب.³⁶

ونجد إثر ذلك شرحا تركيا مهمّا "المفتاح الغيب" اضطلع به عثمان فضلي (ت 1102 هـ/1690م)، وهو أستاذ الصوفي الخلوتي، والشارح إسماعيل حقي البروسوي (ت 1127 هـ/1725م). وهذا الشرح موسوم بـ"مصباح القلب في شرح مفتاح الغيب". ومن الواضح من خلال قائمة مؤلّفات هذا الشّارح أنّه من المتبنّين لفكر محيي الدّين بن عربي؛ فقد شرح أثيرين من آثاره.³⁷

32- يقول ابن العماد في أحداث سنة 885 هـ: "وفيها المولى محمد بن قطب الدين الأزنيقي الحنفي الإمام العالم العامل قرأ العلوم الشرعيّة والعقلية على المولى الفناري، وتمهر، وفاق أقرانه، ثم سلك مسلك التصوّف، فجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة، وصنّف شرحا لمفتاح الغيب للشيخ صدر الدين القونوي وهو في غاية الحسن. وشرح أيضا "نصوص الصدر القونوي"، شذرات الذهب، بيروت، دار ابن كثير، 1993، 513/9

33- انظر: الخواجوي في مقدّمته لترجمة الفوك إلى الفارسية.

34- يقول حاجي خليفة عن مفتاح الغيب: "وشرحه الشيخ محمد بن قطب الدين الأزنيقي وهو شرح نفيس أورد فيه لطائف على وجه الاختصار نفعا للمبتدئ وشرح أسناده الفناري في غاية الإطناب لا ينتفع به إلا المنتهي"، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون 1768/2

35- انظر:

Chittick, Article « Tasawwuf » E I 2 ,10/347

36- انظر:

Dr Necdet Tosun (Marmara university-Ilahiyat Faculty.Istanbul), The contribution of the ottoman sufis to the persian language and literature.

<http://sologak1.blogspot.com/2009/09contribution-of-ottoman-sufis-to-html>

ويبدو أنّ مستند هذا الباحث ما قاله حاجي خليفة: "وشرحه الشيخ أحمد عبد الله الإلهي للسلطان محمد الفاتح وأتمه سنة 880 ثمانين وثمانمائة أوّله الحمد لك يا الله المتحمّد بتوحيدك... وهو شرح فارسي مبسوط (مفصول فيه بين المتن والشرح) بالميم والشين فرغ منه في تاريخ السنة المزبورة (هكذا في الأصل ولعلّها المذكورة) بزوايته ببلدة أرميد" كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الكتب العلميّة 1992، 1768/2. وقارن بما ذكره البغدادي: "الإلهي الشيخ عبد الله السيمائي الرومي الشهير بالإلهي الصوفي المتوفى سنة 896 هـ. من تصانيفه تجلية الأرواح في التصوف، زاد المشتاقين، شرح مفتاح الغيب لصدر الدين القونوي" هدية العارفين بأسماء المؤلفين وأثار المصنّفين من كشف الظنون، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1992، 470/5

37- هما "التجليات البرقية في شرح قصيدة العشقية، للشيخ الأكبر"، و"حاشية على شرح الفصوص لابن عربي"، انظر كحالة، معجم المؤلفين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2000/6. وانظر أيضا الباباني، هدية العارفين 348/1

وبرز في هذا القرن أيضا شرح تركي آخر "المفتاح الغيب"، قام به عبد الرحمان البروسوي الحنفي الشهير بموج زاده (ت 1161هـ/1748م)، وهو مفسر ومشارك في بعض العلوم. وتوجد من هذا الشرح عدة مخطوطات في المكتبات التركية³⁸. وفي القرن الثالث عشر للهجرة شرح "مفتاح الغيب" أحمد بن عبد الله القريمي (ت 1211هـ)، ومنه عدة نسخ مخطوطة في بعض المكتبات التركية. وبعد سنوات قام عبد اللطيف بن محمد البروسوي الصوفي الحنفي المشهور بغزي زاده³⁹ (ت 1247هـ) بشرح مفتاح الغيب لصدر الدين القنوي. وظهر بعد ذلك شرح مصطفى أفندي (ت 1308هـ)، وكان نقيبا للأشراف، وقاضيا لغزة نحو سنة 1265هـ.⁴⁰ وذكر الخواجوي شرحا لشهاب الدين أحمد ابن حسين الحموي باسم "شرح مفتاح الغيب" توجد منه نسخة مخطوطة واحدة،⁴¹ ويتوفر في مكتبتين تركيتين شرحان لمؤلفين مجهولين؛ أحدهما بعنوان "شرح مفتاح الغيب"⁴²؛ والثاني موسوم بـ"أسرار الشهود الحاصل من فتح الوجود"⁴³.

وفي القرن الرابع عشر للهجرة، علق على كتاب "مفتاح الغيب"، وعلى "مصباح الأنس" للفناري تعليقات كثيرة ومفيدة الميرزا هاشم بن محمد علي الكيلاني الإشكوري⁴⁴. وعلق عليه أيضا سيد محمد القمي⁴⁵. وعلق على هذا الكتاب أيضا تعليقات كثيرة آية الله الخميني. وقد كتب هذه التعليقات سنة 1935 ونشرت سنة 1986⁴⁶. وقد كتب الخميني آراءه، ونقده العلمي على الكتاب في شكل حاشية استوعبت ثلث الكتاب. ويعود اهتمام الخميني بالقنوي وبالتصوف إلى أستاذه في التصوف آية الله محمد علي شهبادي (ت 1950 م)؛ فقد كان ينصت إلى دروسه الخاصة بشرح داود القيصري على "فصوص الحكم" لابن عربي، و"مفتاح الغيب" لصدر

38- راجع مقدمة الخواجوي لكتاب الفكوك، وانظر في ترجمة المؤلف البغدادي، هدية العارفين، 553/1

39- انظر ترجمته لدى الباباني، هدية العارفين، 327/1

40- ذكر الخواجوي في مقدمته على الفكوك أنّ من هذا الشرح نسخة في مكتبة أسعد أفندي بإسطنبول.

41- توجد هذه المخطوطة في مكتبة "أمانت خزينة سي" / 1773

42- وهو مخطوط بمكتبة:

Topkapi Sarayi Kütüphanesi, Emanet Hazinesi, d.no: 1269, 230 vr.

43- توجد نسخة مخطوطة منه في مكتبة ولي أفندي رقم 1726

44- سكن ب طهران ودرّس العلوم العقلية والمعارف الإلهية في المدرسة السلطانية الناصرية في طهران، وهو من تلامذة الآقا محمد رضا القمشي.

45- هو من فقهاء القرن الرابع عشر للهجرة. وقد تتلمذ في الفلسفة والعرفانيات على الميرزا هاشم الكيلاني والميرزا حسن الكرمشاهي والشيخ علي النوري. والملاحظ أنّ النسخة المخطوطة لتعليقات سيد محمد القمي محفوظة في مكتبة كلية الآداب بجامعة طهران.

46- انظر:

Nasir al-Din Ansari, The works and declarations of Imam Khomeini, www.Imamreza.net/eng/imamreza.php?id=Eo2037

وانظر:

Commentaries on the interpretation of Fusus al-hikam and Misbah al uns by Ayatollah Khomeini, Tehran. Pasdar-e Islam, 1406/1986

الدين القونوي، و"منازل السائرين" للخواجة عبد الله الأنصاري (ت 481هـ). وظلّ اهتمامه بهذه المؤلفات جليًا في آثاره وتفكيره طيلة حياته.

وقد كتب الآقا محمد رضا القمشئي تعليقات على "مفتاح الغيب"، وكذلك فعل الأستاذ حسن حسن زاده أملي. وعلى "مفتاح الغيب" أيضا تعليقات مهمة لمعلّق مجهول موسومة بـ"فتح المفتاح"⁴⁷. وكل هذه التعليقات، وبعضها طبع طبعة حجرية، لم تعد واضحة للقراءة؛⁴⁸ لذلك قام بتحقيقها والتقديم لها محمد خواجوي.⁴⁹

ولم يقتصر الاعتناء بـ"مفتاح الغيب" في العصر الحديث على التعليقات والتدريس، وإنما تجاوز ذلك إلى ترجمته إلى لغات ثلاث هي التركية والفارسية والفرنسية؛ فقد ترجم إلى الفرنسية جزئيًا منذ سنة 1978 على يد ريسبولي ستيفان (Ruspoli Stéphane)، ثم ترجمه إلى الفارسية محمد خواجوي سنة 1995، وترجمه أخيرا إلى التركية أكرم دميرلي سنة 2002.⁵⁰

والجدير بالذكر أنّ ترجمة مفتاح الغيب لم تبدأ في العصر الحديث، بل سبقتها ترجمات أخرى قبل هذا العصر إحداها إلى اللغة الفارسية تولاها أحمد إلهي، أما المترجمان الآخرا فهما مجهولان.⁵¹

⁴⁷ - هذه التعليقات محفوظة في مخطوط في مكتبة "أستان قدس"، تحت رقم 14255-9404

⁴⁸ - من الأمثلة على هذا حاشية الميرزا هاشم بن حسن بن محمد علي الكيلاني الأشكوري على مصباح الأنس بين المعقول والمشهود في شرح مفتاح غيب الجمع والوجود، لحمزة الفناري، طهران، كارخانه حاجي عبد الرحيم تصدى للطبع الحاج الشيخ أحمد الشيرازي، شعبان 1323 هـ.

⁴⁹ - انظر مفتاح الغيب للقونوي وشرحه مصباح الأنس للفناري مع تعليقات لميرزا هاشم الأشكوري وآية الله الخميني وسيد محمد القمي وآقا محمد رضا القمشئي والأستاذ حسن زاده أملي وفتح المفتاح، صححه وقدم له: محمد خواجوي انتشارات مولی 1416 هـ وهو على الموقع <http://shiaonlinelibrary.com>

⁵⁰ - انظر:

DEMIRLI, Ekrem, Miftâhu Gaybi'lCem' ve'l-Vucûd (Tasavvuf Metafizigi) Iz Yay., Türkçe, Istanbul, 2002

HÂCEVÎ, Muhammed, Tercüme-i Misbâhu'l-üns-i Hamza Fenârî, Mevlâ Yay., Farsâa, Tahran 1374/1995-96

RUSPOLI, Stephane, La Clef du Monde Suprasensible -Miftah al-Ghayb- de Sadreddin Qunyawi These de 3 cycle, Fransisca, University Paris, 1978

⁵¹ - راجع:

a) Miftâhu'l-Gayb Tercümesi, Süleymaniye Kütiüphanesi, (translator is unknown) (Istanbul) Haci Mahmut Efendi, d no: 2610, 82 vr.

b) Tercüme-i Miftâhi'l- Gayb, translater by. Seyh Ahmet İlâhî, Süleymaniye Library, Pertev Pasa d. no: 278, 143 vr. Ayasofya, d. no: 2089 ; Konya Karatay Ysuf Aga Library, d. no: 4866.

c) Miftâhu'l-Gayb'dan Tercüme, (translator is unknown) Millet Library, (Istanbul) Ali Emiri Sry. D. no: 911; vr. 37-46

<http://www.konevisempozyumu.com/eng/konevi.php?dil-tr>

ويُتضح إذن بعد هذا العرض التاريخي المسهب أنّ كثافة مخطوطات "مفتاح الغيب" وشروحه وترجماته حجة لا مجال للطعن فيه على الأهمية الكبرى التي كان يحظى بها القونوي في الفكر الإسلامي عامّة، وفي علم التصوّف خاصّة.

3- كتاب الفكوك

يعدّ "الفكوك" أوّل شرح على أحد أشهر كتب محي الدّين بن عربي، وهو "فصوص الحكم". و"الفكوك" من المصنّفات التي يقدّم فيها صدر الدّين القونوي مذهبه وفلسفته. والظاهر أنّ هذا التّأليف ليس شرحاً كاملاً لفصوص الحكم؛ ذلك أنّه يفسّر معاني عناوين أبواب "الفصوص".⁵² وهذا الرّأي يؤكّده بعض الباحثين الآخرين؛ ذلك أنّ القونوي لم يفصل ولم يفسّر ما ذكره الشيخ الأكبر، بل هو يصرّح في خاتمة "الفكوك" أنّه لم يتصدّ لشرح كتاب الفصوص⁵³. وليس من الغريب أن يؤلّف القونوي كتاباً مستلهماً من فصوص ابن عربي؛ فقد كان يضطلع بتدريسه، ويسهم في إضاءة ما غمض فيه.

وقد كان "الفكوك" محلّ اهتمام ملحوظ على أكثر من صعيد؛ ففي مستوى أوّل اهتمام كثير من النساخ بنسخ هذا الكتاب، لذلك احتفظت المكتبات التركية بعدد وافر منها. وتوجد علاوة على ذلك، بعض المخطوطات من هذا التّأليف في مصر وإيران، وفي المكتبة الوطنيّة بجمهورية تشيكيا. وهذه المخطوطة الأخيرة كتبت سنة 894 هـ/1490م، وهي تضمّ 97 صفحة.⁵⁴ وقد طبع هذا الكتاب في العصر الحديث عدّة طبعات⁵⁵ وترجم إلى اللغتين: الفارسية⁵⁶ والتركية.⁵⁷

وقد وجدنا شرحين فحسب لكتاب "الفكوك"؛ أحدهما للسيد أسعد البلخي (ت 1046هـ) النقشبندي الطريقة؛ فقد أخبرنا محمد المحبي (ت 1111هـ) أنّ للسيد أسعد "كتابات على شرح الفصوص للمحقق محمد بن إسحاق

⁵² - انظر:

Sachico Murata, The Too of Islam a source book on gender relationships in islamic thought, state university of New York Press, U.S.A. 1992, p. 92

⁵³ - راجع ليلي عبد الكريم خليفة، خطاب القونوي بين التّأثير بخطاب ابن عربي والتمايز عنه، الفكوك والفصوص نموذجاً، ص 286، الملتقى الدولي الأوّل حول صدر الدين القونوي 20-21 ماي 2008 بكنيا. وقد نظمه ونشره مركز البحوث حول القونوي ضمن بلدية مرام بكنيا - تركيا.

⁵⁴ - هذه المخطوطة محفوظة في المكتبة الوطنيّة التشيكية تحت رقم XVIIIIG52.

⁵⁵ - طبع الفكوك مع الفصوص في طهران سنة 1315 هـ وأعيد طبعه بتحقيق محمد خواجوي في مؤسسة انتشارات مولى 1371 هـ.

⁵⁶ - ترجمه إلى الفارسية محمد خواجوي، انتشارات مولى، طهران 1413 هـ/1992-1993م.

⁵⁷ - ترجمه إلى التركية أكرم دميرلي، اسطنبول 2003

القونوي، تدلّ على علوّ كعبه في علم التصوّف⁵⁸. وهذا المعطى يتناقض مع الخط العام الذي كان سائدا ضمن الطريقة النقشبندية. فقد كانت معادية لابن عربي بشكل عام، وهذا ينطبق على شيوخها القدامى والمحدثين⁵⁹.

أمّا الشرح الثاني، فهو "رسالة في التعليق على الفكوك" مجهولة المؤلّف تشتمل على 86 ورقة، وتوجد ضمن مجموعة فيها نسخة خطية من "الفكوك" بدار الكتب المصرية⁶⁰ وقد عرفنا على هذه الرّسالة الباحث إبراهيم محمد ياسين محقق كتاب القونوي "النصوص في تحقيق الطور المخصوص"، ونقل منها تعريفا لمصطلحي الشّيئية والارتسام⁶¹.

وكان لكتاب "الفكوك" تأثير جليّ في كلّ الشّروح التي وضعت على "فصوص الحكم" لابن عربي، منها "شرح فصوص الحكم" لداوود القيصري؛ حيث نجد ذكر "الفكوك" في الشاهد التالي: "ويمكن أن يكون الرّوح مضموم الرّاء لأنّ المعاني الثلاثة التي هي مفهومات الدّين كلّها من شأن الرّوح المدبّر للبدن فحصل التناسب بينهما وإليه مال شيخنا المحقّق في فكوكه"⁶².

وقد وقف محقق هذا الكتاب على بعض الآراء التي أخذها القيصري في شرحه من القونوي، يقول: "والشيخ الشارح القيصري أخذ ما ذكره في أقسام الرّحمة بعينه عن الشيخ الكبير صاحب الفكوك والنصوص... قال الشيخ في الفكوك بعد تقسيم الرّحمة بما ذكره الشّارح: فاعلم أنّ الرّحمة الخبيصة لسليمان من الرّحمة العامّة الصفاتية"⁶³.

وقد تجلّى تأثر عبد الرحمان الجامي بكتاب الفكوك في شرحه على فصوص الحكم لابن عربي الموسوم بـ"نقد النصوص" مثلما نقل محقق شرح القيصري⁶⁴.

ولم يقتصر تأثير "الفكوك" على شروح "فصوص الحكم"، بل تعدّاه إلى مصنّفات أخرى منها كتب مناقب ابن عربي، إذ يقول أحد المصنّفين فيها، وهو أبو الحسن علي بن إبراهيم القاري البغدادي، وهو من متصوّفة

⁵⁸- محمد المجبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، طبعة حجرية (د.ت) و(د.م)، 403/1.

⁵⁹- انظر: Michel Chodkiewicz, The Diffusion of Ibn Arabi's Doctrine, Journal of the Muhyiddin Ibn Arabi Society, vol IV, 1991.

⁶⁰- راجع المجموعة رقم 343 م.

⁶¹- راجع القونوي، كتاب النصوص، تحقيق إبراهيم محمد ياسين، ص 27 وص 32

⁶²- داوود القيصري، شرح فصوص الحكم، تحقيق سيد جلال الدين أشتياني، ط1، طهران، شركة انتشارات علمي وفرهنكي، 1375هـ، ص 666

⁶³- المصدر نفسه، هامش ص 912

⁶⁴- يقول جلال الدين الأشتياني: "وقد نقل الشارح الجامي في "نقد النصوص" ما نقلناه عن الفكوك بعينه وكذا الشارح القيصري وغيرهما" شرح القيصري لفصوص الحكم، هامش 1، ص 1093

القرن الثامن للهجرة: "لعمري ما أنصفوه لأنهم لم يعرفوه بأن الشيخ (رضي) يجتمع بالنبي (ص) ومن شاء من المنقلبين إلى الدار الآخرة متى شاء من ليل أو نهار هكذا ذكره عنه قطب الوقت صدر الدين القونوي في فكوك النصوص "تصنيفه"⁶⁵.

والملاحظ أنّ من أهم ما استرعى انتباه الدارسين لكتاب "الفكوك" تعريفه للإنسان الكامل. من ذلك قول التهانوي: "قال الشيخ الكبير (يعني صدر الدين القونوي) في كتاب الفكوك: الإنسان الكامل الحقيقي هو البرزخ بين الوجوب والإمكان والمرأة الجامعة بين صفات القدم وأحكامه وبين صفات الحدثان..."⁶⁶.

وقد كان كتاب "الفكوك" محلّ اهتمام كبير ومخصوص في الفكر الإيراني؛ فقد كان ضمن الكتب الثلاثة للقونوي التي كانت درسا في الحوزات الفلسفية والعرفان الإسلامي في القرون الستة الأخيرة⁶⁷. وتواصل هذا الاحتفاء بـ"الفكوك" في الفكر الإيراني الحديث؛ فقد ذهب كثير من ممثليه إلى أنّ القونوي صرّح فيه بوصف الإمام المهدي بخليفة الله في الفك الهاروني.⁶⁸

4- إعجاز البيان في تأويل أمّ القرآن

يعدّ هذا الكتاب من أهم مؤلفات صدر الدين القونوي⁶⁹، وهو من أبسط تفاسير سورة الفاتحة في تاريخ الفكر الإسلامي؛ فقد امتدّ على أكثر من أربعمئة صفحة. وقد ذكر صدر الدين القونوي هذا الكتاب في النفحة الرابعة من كتابه "النفحات الإلهية" تحت عنوان "إعجاز البيان"، معتبرا أنه مشتمل على شرح كليات أسرار أم القرآن⁷⁰ ووسمه حاجي خليفة بـ"إعجاز البيان في كشف بعض أسرار أم القرآن"،⁷¹ وتنهض الأهمية التي حظي بها هذا الكتاب على عدّة اعتبارات منها العدد الوفير من مخطوطاته المنتشرة في عدّة بلدان، وخاصة تركيا فضلا عن مصر وإيران⁷². ومنها طبعه منذ مدّة بعيدة، وتتالي طبعاته فقد طبع لأول مرة في سنة 1310

⁶⁵ - أبو الحسن علي بن إبراهيم الفاري البغدادي، الدر الثمين في مناقب الشيخ محيي الدين، طبع في مقدمة "خصوص النعم في شرح فصوص الحكم" للمهاتمي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2007، ص 23

⁶⁶ - التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، استانبول، دار قهرمان للنشر والتوزيع، 1984، 77/1

⁶⁷ - مرتضى مطهري، نبذة في تاريخ العرفان والتصوّف ودور الإيرانيين فيه www.hawzah.net

⁶⁸ - مؤمني عابدين، دراسة حول خلاف الإمامية مع أهل السنة والديانات السماوية الأخرى، مجلة أفاق الحضارة الإسلامية شمارة 15 www.hawzah.net

⁶⁹ - انظر:

Chittick, The last will and testament of Ibn Arabi's foremost disciple, Sadr al-Din al Qunawi

⁷⁰ - القونوي، النفحات الإلهية، ص 19

⁷¹ - حاجي خليفة، كشف الظنون، 120/1

⁷² - توجد للكتاب مخطوطات من هذا الكتاب في إيران منها نسخة في مكتبة الآية الكليايكاني في مدينة قم، ومنها نسخة في مكتبة كلية الإلهيات بمشهد رقم 204 وفقا لما جاء في فهرس المكتبة، 309/1، ومنها نسخة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي بطهران، انظر مقدّمة تحقيق كتاب أسماء الله للقونوي.

هـ/1892م؛⁷³ أي منذ أواخر القرن التاسع عشر للميلاد، والحال أنّ كثيراً من مؤلفات القونوي ظلّت مخطوطة إلى عهد قريب، وأعيد طبعه محققاً في سنة 1369هـ بالمطبعة نفسها. وحقّقه بإيران جلال الدين الأشتياني سنة 1381هـ⁷⁴، وحقّقه في مصر عبد القادر أحمد عطا في سنة 1389هـ/1969م،⁷⁵ وأعيد طبعه في إيران خلال سنة 1423 هـ/2002م⁷⁶ وحقق في بيروت أيضاً على يد عاصم الكيالي ونشر سنة 2005.⁷⁷

وذكر محقق كتاب "شرح الأسماء الحسنى" للقونوي أنّ له تحقيقاً لكتاب "إعجاز البيان" مقترناً بوضع فهرس موضوعي مفصّل له⁷⁸. وقد أدرك الباحثون المحدثون في تصوّف أهميّة هذا الكتاب والحاجة إلى نقله إلى ألسنة أخرى غير اللسان العربي؛ لذلك ظهرت ترجمة له إلى اللغة الفارسيّة سنة 1375هـ/1996-1997م، اضطلع بها محمد خواجوي، وبرزت إثر ذلك ترجمة له إلى اللغة التركيّة سنة 2002 قام بها أكرم دميرلي.

وقد وجد كتاب "إعجاز البيان" عناية ملحوظة في الأوساط الصوفيّة من ذلك، أنّ أحد شيوخ الطريقة الخلوتية، وهو الشيخ عثمان بن السيّد فتح الله الشمني الرومي الشهير بآب بازاري (ت 1102هـ)، كتب حاشية على تفسير الفاتحة سماها "مرآة أسرار العرفان على إعجاز البيان". ويتضح من ترجمة هذا الشيخ أنّه من المقتدين بتعاليم مدرسة ابن عربي وتلاميذه⁷⁹. وتواصل تأثير كتاب "إعجاز البيان" في مؤلفات الطريفة الصوفية الخلوتية من ذلك إحالة إسماعيل حقي الخلوتي البروسوي عليه في تفسيره "روح البيان في تفسير القرآن" حيث يقول: "قال الشيخ صدر الدين القونوي قدّس سرّه: أكّده بالتكرار، ولا شك أنّ لا يذكر الله ذكراً حقيقياً، وخصوصاً بهذا الاسم الأعظم الجامع المنعوت بجميع الأسماء إلّا الذي يعرف الحقّ بالمعرفة التامة، وأتمّ الخلق معرفة بالله في كل عصر"⁸⁰. ولإسماعيل حقي رسالة "الحضرات الخمس الإلهيّة" بدا من خلالها تأثره بأعلام مدرسة ابن عربي عامّة، وبصدر الدين القونوي وكتابه إعجاز البيان بصفة خاصّة.⁸¹

⁷³ - طبعته مطبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند.

⁷⁴ - طبعته مؤسسة بوستان كتاب بمدينة قم، (391 ص).

⁷⁵ - عبد القادر أحمد عطا، التفسير الصوفي للقرآن: دراسة وتحقيق لكتاب "إعجاز البيان في تأويل أمّ القرآن لصدر الدين القونوي"، القاهرة، دار الكتب الحديث، 1969

⁷⁶ - نفس محقق طبعة مؤسسة بوستان كتاب ونفس المؤسسة.

⁷⁷ - نشرته دار الكتب العلميّة بعنوان "إعجاز البيان في تفسير أمّ القرآن سورة الفاتحة"

⁷⁸ - انظر مقدمة تحقيق شرح الأسماء الحسنى للقونوي.

⁷⁹ - صنّف هذا الشيخ عدّة مؤلفات منها "التجليات البرقية في شرح القصيدة العشقيّة للشيخ الأكبر" و"حاشية على شرح التلخيص المطول للشيخ الأكبر" و"مصباح الغيب في شرح مفتاح الغيب للقونوي" انظر الباباني، هديّة العارفين، 348/1

⁸⁰ - إسماعيل حقي، روح البيان، 334/4

⁸¹ - راجع:

وتواصل تأثير هذا الكتاب في علماء الصوفية من ذلك احتجاج عمر بن سعيد الفوتي⁸² (ت 1280هـ) به في كتابه "رمح حزب الرحيم على نحور حزب الرحيم" إذ يقول: "وقال تلميذه الصدر القونوي قدس سره في "إعجاز البيان": المؤهلون للانتفاع بنتائج الأذواق الصحيحة وعلوم المكاشفات الصريحة هم المحبون للمحققين من أهل الله وخاصته، والمؤمنون بهم وبأحوالهم من أهل القلوب المنورة والفكرة السليمة..."⁸³

وفي العصر الحديث، لم ينقطع الاهتمام بكتاب "إعجاز البيان" إن في الفكر الصوفي أو في الفكر الشيعي وغيرهما؛ فقد أحال عليه محمد الكسنزان الحسيني شيخ الطريقة العلية القادريّة الكسنزانية في العراق، في مقال له حول موضوع الهداية، بيّن فيه أنّ القونوي يعرف الهداية في "إعجاز البيان" بأنها "حكم من أحكام العلم، فإنه ليس لها إلاّ تعيين المستقيم من المعوج والصواب من الخطأ"⁸⁴ واحتجّ بأقوال القونوي في كتابه "إعجاز البيان" أيضا المرجع الديني آية الله كمال الحيدري في كتابه "شرح نهاية الحكمة الإلهيات بالمعنى الأخص"⁸⁵؛ فقد ذكر ثلاثة شواهد من كتاب القونوي⁸⁶. ولا ريب في أنّ التفطن إلى كلّ تجليات التأثير بكتاب "إعجاز البيان" من قبيل المستحيل على باحث بمفرده، لكننا اجتهدنا في العثور على بعض الشواهد الدالة على هذا التأثير الذي تجلّى من خلال ما نشر من كتب أو مقالات، إلاّ أنّ الأکید أنّ هذا التأثير امتدّ أيضا إلى مجال الدراسات الجامعيّة التي لم تنشر بعد.⁸⁷

Idiris Danişmaz, Mystical philosophy as the source of ottoman tolerance: The case of Ismail Hakki Bursevi's doctrine of being, p 164, 169

⁸² - هو شيخ من شيوخ الطريقة التيجانية بدارفور.

⁸³ - انظر الفصل 3 من الجزء 1 من كتاب الفوتي "رمح حزب الرحيم" على العنوان التالي:

Php?page = rimah 11 www.nafahat7.net/index

⁸⁴ - انظر مقال الهداية على العنوان التالي: www.kasnazan.com/article.php?id=1441

⁸⁵ - انظر الحيدري، شرح نهاية الحكمة، ص 34

www.alhaydari.com/s/client/docs/book_site/nahaeeh2/03.htm

⁸⁶ - راجع الطبعة الثانية من إعجاز البيان، حيدر آباد الدكن، الهند، 1368هـ ص 47 وص 130

⁸⁷ - انظر مثلا مريم سعود، البعد التصوري في القرآن الكريم، سورة يوسف نموذجا، بحث معدّ لنيل شهادة الماجستير، نوقش تحت إشراف الدكتور يوسف عروج بكلية الآداب واللغات بجامعة الجزائر، السنة الجامعيّة 2005-2006، فقد تطرقت الباحثة في مقدمتها عن فضل القرآن إلى شاهد من كتاب "إعجاز البيان".

أثر القونوي في الفكر الإسلامي: أثره في بعض تلاميذه أنموذجا

1- أثر القونوي في تلميذه فخر الدين العراقي

اجتمع حول صدر الدين القونوي عدد من علماء الصوفية، من أهمهم فخر الدين إبراهيم العراقي (ت 686هـ/1287م)، وهو شاعر فارسي المولد، فهمدان مسقط رأسه، لكنّه انتقل إلى عدّة مناطق منها الهند، ولا سيما مدينة مولتان التي ستعرف فيما بعد باسم باكستان، وقضى رداً من الزمن في كنيا، وألّف عدّة مصنّفات شعرية ونثرية منها "اللمعات"، وهو شرح مختصر لـ"فصوص الحكم" لابن عربي كتبه بالفارسيّة، ونشر بواسطته تعاليم ابن عربي في شرق المشرق⁸⁸. وقد ألّف العراقي "اللمعات" بعد أن قرأ عليه فصوص الحكم لابن عربي، فكان هذا المصنّف مستلهما من هذه الدروس مباشرة، وهو تأليف نثري وشعري قصير بينه وبين "فصوص الحكم" عدد من نقاط الشبه الشكلية، إلاّ أنّه يقوم بجلاء على تأويلات القونوي لتعاليم ابن عربي⁸⁹. وقد ناقش بعض الباحثين هذا الحكم اعتمادا على أنّ العراقي يذكر في بداية "اللمعات" أنّه يتبع سنن أحمد الغزالي (ت 520هـ) في "السوانح"، ويفسّر هذا الموقف بأنّ صاحبه يؤكّد على مضمون العشق في "اللمعات" بصفة تفوق التركيز على المحتوى المذهبي للكتاب. وقد ذهب بعض الدارسين إلى أبعد من هذا الرأى عندما افترض أنّ العراقي من خلال كتابه "اللمعات" على شاكلة "السوانح" يرغب في تحقيق الانسجام بين تعاليم ابن عربي وتعاليم أحمد الغزالي، إلاّ أنّ هذا الرأى يجهل حقيقة كون ابن عربي له فلسفة للعشق طورها القونوي بشكل أكثر تفصيلا من خلال دروسه الخاصة بقصيدة "نظم السلوك" لابن الفارض المعروفة أيضا بالتائية الكبرى⁹⁰. ويعتبر كتاب "اللمعات" في شرح اللغات" ليار علي الشيرازي وهو أحد متصوّفة القرن 8 هـ/14 م من أقدم شروح "اللمعات". وقد عدّه بعض الباحثين مصيبا في شرح معاني العراقي بالاستناد أساسا إلى مؤلفات القونوي والفرغاني والجندي⁹¹.

⁸⁸- انظر فصل "ابن عربي" (Ibn Arabi) لـ أ. أتاس (A. Ates) بـ د.م.إ.، ط2 (بالفرنسية)، 733/3

⁸⁹- راجع مقدمة شتيك (Chittick) وويلسن (Wilson) لترجمتهما لللمعات إلى الإنجليزية Divine flashes, London 1981

⁹⁰- انظر:

William G. Chittick: Eraqi, Fakhr al-Din Ebrahim, Encyclopaedia Iranica, www. Iranicaonline. org/articles. Eraqi

⁹¹- المرجع نفسه.

2- تأثير القونوي في عفيف الدين التلمساني

يعدّ عفيف الدين التلمساني (ت 690 هـ) أصيل مدينة تلمسان الجزائرية، وهو من القائلين بوحدة الوجود على غرار ابن عربي، وابن الفارض، وابن سبعين، وعبد الكريم الجيلي، والقونوي⁹⁷. ومن مؤلفاته شرح مختصر على "فصوص الحكم" لابن عربي⁹⁸، ولم يتبقّ من هذا الشرح سوى مخطوط واحد مكتمل،⁹⁹ وقد وقفنا على عدّة إحالات عليه لدى محقق "شرح الفصوص" لداود القيصري¹⁰⁰.

وقد طبعت في عصرنا عدّة مؤلفات نثرية وشعرية للتلمساني، من أهمّها شرح لكتاب "منازل السائرين إلى الحقّ المبين"¹⁰¹ لأبي إسماعيل الهروي (ت 481 هـ). ومما يتضمّن هذا الكتاب خبر يذكر أنّ عفيف الدين كان يباشر استيفاء الخزانة بدمشق،¹⁰² وله أيضا شرح لـ "مواقف النّفري"¹⁰³ يذكر المحقّق في مقدّمته أنّ عفيف الدين استطاع بمقالته في الوحدة المطلقة أن يكون جماعة تنادي بمذهبه الصّوفي؛ فقد انتشر خبره وتعلّق به مريدوه في صغد وبيت المقدس، وعجلون وغيرها من بلاد الشام في المشرق وفي غيرها من بلاد المغرب، وعلى رأس هذه الفرقة تلميذه محمود ابن طي العجلوني (ت 734 هـ)؛ فقد كان داعية إلى مقالة العفيف التلمساني يحفظ أكثر ديوانه ويناضل عن معتقده. ولم يقتصر الأمر على أبناء عصره، وإنما نجد أنّ أهميته بقيت أسيرة لدى طوائف المتصوّفة بعد موته بزمن طويل؛ فالمعروف عن المتصوّف الكبير حاتم الملقب بالأهدل اليمني (ت 1013 هـ) أنّ له كتابات على ديوان العفيف التلمساني. وكان للتلمساني الأثر الكبير في العالم المسيحي في العصر الوسيط، وخاصة في اتجاهات بعض الرهبان¹⁰⁴ ولا ترجع منزلة التلمساني إلى كتبه النثرية فحسب، وإنما أيضا إلى أشعاره الصّوفيّة من ذلك ديوانه الذي نشر بالقاهرة سنة 1889 ونشر حديثا سنة 2008¹⁰⁵، وله أيضا شرح على تائية ابن الفارض.¹⁰⁶

⁹⁷ - انظر عبد الغني النابلسي، إيضاح المقصود من وحدة الوجود، دمشق، مطبعة العلم، 1969، ص 7

⁹⁸ - حاجي خليفة، كشف الظنون، 2/ وانظر اعتبار سيد حسين نصر التلمساني أول شارح لفصوص الحكم بطريقة موجزة في كتابه (The Garden of Truth)، ص 214

⁹⁹ - انظر: Shehit, 1248 وانظر: Jane Clark, Early Best-Sellers in the Akbarian tradition, p. 22

¹⁰⁰ - شرح الفصوص للقيصري، تحقيق أشتياني، ص ص 488-494

¹⁰¹ - حقّقه عبد الحفيظ منصور، تونس، دار التركي للنشر، 1989 (جزآن).

¹⁰² - المصدر نفسه، ص 30

¹⁰³ - حقّقه جمال المرزوقي.

¹⁰⁴ - المصدر نفسه، ص 31

¹⁰⁵ - نشر بتحقيق د. يوسف زيدان.

¹⁰⁶ - انظر فصل "التلمساني" (AL-Tilimsani) لكرنكو (Krenkau) ومحمد اليعلاوي (M. Yalaoui) بد.م.ل. ط2، بالفرنسية، 535/10

رحلات طويلة، أهمّها الرّحلة إلى مصر؛ حيث نزل في خانقاه (سعيد السعداء)، وهي دويرة الصوفية المعروفة بالخانقاه الإصلاحية. وكان الفاطميون قد أسسوها ثم أوقفها صلاح الدين الأيوبي على الصّوفيّة.

ومن مظاهر الصلة الوثيقة بين الرّجلين إرسال القونوي رسالة طويلة إلى عفيف الدّين التلمساني موسومة بـ"الإلماع ببعض كلمات أسرار السّماع" يصف فيها كيف أنّه، وهو يطوف بالكعبة، اتضحت لديه معاني بعض الآيات التي سمعها فجأة¹¹³. ولا شكّ في أنّ هذه الصلة الكبيرة بين القونوي وتلميذه المباشر التلمساني، قد انعكست في كتابه وأشعاره إن من ناحية الأفكار أو المصطلحات. إلّا أنّ ما أطلعنا عليه من مؤلفاته، لا يسمح بتقدير حجم هذا التأثير خاصّة أنّه لا يذكر القونوي بالاسم. وقد يكون ذكره تلميحا في بعض المواضع منها قوله: "ولقد ورد عليّ مرّة وارد في جبال أنطاكية؛ فأخذت منه عن حسن، فقيل أتحب أن ترى الله، فقلت نعم. فقيل تعال، فكنت أجد الرّوح تنفصل عن جسمي من عند رجلي طالبة إلى حلقي، فضاق نفسي، وتوهّمت أنّ المنية قد أدركتني، وكنت سمعت من الشيخ قدسه الله قبل هذه الواقعة أنّ الفقير إذا أراد أمرا جمع نفسه عليه، فإنّه ينفصل، فذكرت هذا القول في تلك الساعة"¹¹⁴.

3- أثر القونوي في سعيد الدين الفرغاني (ت 699 هـ)

انتمى الفرغاني إلى الطريقة الصوفية السهروردية. وكان انتمائه إليها من خلال نجيب الدين علي بن بزغش الشيرازي (ت 678 هـ)، وهو تلميذ شهاب الدين عمر السهروردي. ودرس لاحقا على صدر الدين القونوي، ثم على محمد بن سكران البغدادي وآخرين. وفي سنة 643 هـ (وربما سنة 640 هـ) اصطحب الفرغاني القونوي وعددا من العلماء الآخرين من الأناضول إلى مصر.¹¹⁵

وتتجلى الصلة الوثيقة بين القونوي والفرغاني من خلال كثير من المعطيات، منها أنّ إحدى مخطوطات كتاب "إعجاز البيان في تأويل أم القرآن"¹¹⁶ كتبها الفرغاني بخطه سنة 669 هـ، وبهامشها عبارات بخط صدر الدين القونوي¹¹⁷. وليس هذا بغريب، فالفرغاني ولج "علوم الحقيقة" عن طريق القونوي؛ ذلك أنّه عرفه برؤية ابن عربي الصوفية. وفي قونية (كنيا اليوم) استمع الفرغاني إلى شروح القونوي لتأئية ابن الفارض الكبرى. وعلى أساس هذه الدروس، وبوحي منها، كتب الفرغاني شرحه المطول على قصيدة ابن الفارض، وهو أهمّ

¹¹³ - انظر شتيك (Chittick)، صدر الدين القونوي، دم.!. 8/ 776

¹¹⁴ - التلمساني، شرح مواقف النّفري، ص 473

¹¹⁵ - راجع سعيد الدين الفرغاني، مشارق الدراري، شرح تائيه ابن الفارض، تحقيق جلال الدين أشناني، مشهد، 1357 هـ/ 1978 أو 1979 م، ص ص 5-77، 6-77

¹¹⁶ - هي مخطوطة كوبرولو (161 ورقة). راجع مقدمة الخواجوي لكتاب "الفكوك" للقونوي.

¹¹⁷ - المرجع نفسه.

كتاب كتبه. وينقل الفرغاني في "مشارك الدراري"¹¹⁸ خبرا يفسر فيه القونوي قصة شرحه لقصيدة ابن الفارض؛ ففي المرة الأولى التي سافر فيها إلى مصر للمرة الأولى سنة 630 هـ وكان ابن الفارض على قيد الحياة، لم يتمكن من الالتقاء به. وبعد عشر سنوات؛ أي سنة 640 عاد إلى مصر، فالتقى بكثير من شيوخ الصوفية، وحثوه على شرح قصائد ابن الفارض التي تحظى بتقدير الجميع. لهذا وافق القونوي على كتابة شرح على التائية الكبرى لابن الفارض¹¹⁹ وحتى إن كانت هذه الرواية صحيحة، فإنه قد يكون المقصود منها قيام القونوي بشرح سريع وغير مكتوب لهذه القصيدة؛ لأن قائمة مؤلفاته لا تتضمن هذا الشرح. ولعل الخبر الذي رواه صاحب "كشف الظنون" يعزز ما نذهب إليه؛ فقد قال عن تائية ابن الفارض، ولها شروح منها شرح السعيد محمد بن أحمد الفرغاني، وهو الشرح الأول لها وأقدم الشارحين له، حكي أن الشيخ صدر الدين القونوي عرض لشيخه محي الدين ابن عربي في شرحها، فقال للصدر: لهذه العروس بعل من أولادك، فشرحها الفرغاني والتلمساني وكلاهما من تلاميذه¹²⁰. ومهما تكن صحة هذا الخبر، فالمؤكد أن القونوي ترك بصمات قوية في شرح الفرغاني؛ فعلى سعيد أول قام الفرغاني بشرح تائية ابن الفارض بالفارسية، ثم عرض ذلك على شيخه القونوي، فاستحسن شيخه ذلك حسب رواية عبد الرحمان الجامي في كتابه "نفحات الأنس"، وكتب بعض العبارات في هذا الباب، فوضع الفرغاني تلك العبارات المكتوبة بعينها في ديباجته على الشرح الفارسي تيمنا وتبركا.¹²¹

وعلى سعيد ثان يمكن التوصل إلى مصادر فكر الفرغاني من خلال أسماء علماء الصوفية الذين يذكرهم، ومنهم من يصفه بـ"شيخنا وسيدنا"، ومنهم صدر الدين القونوي، وهو يصفه أيضا بـ"سيدنا" و"الشيخ الكامل" و"المحقق".¹²²

والظاهر أن النسخة الفارسية من شرح الفرغاني لتائية ابن الفارض الموسومة بـ"مشارك الدراري الزهر في كشف حقائق نظم الدرر" كانت تحتذي بدروس القونوي بشكل وثيق، ولعل هذا ما يفسر وجود رسالة القونوي في ديباجة الشرح، إلا أن النسخة العربية كانت أضخم حجما من نظيرتها الفارسية. وقد غير عنوانها ليصبح "منتهى المدارك ومشتهى لب كل كامل أو عارف أو سالك"، وهي وإن كانت تسير في توافق لصيق مع

¹¹⁸ - الفرغاني، مشارق الدراري، ص ص 5-6 و 77-78

¹¹⁹ - انظر:

Giuseppe Scattolin, The Key Concepts of al-Farghani Commentary on Ibn al-Farid's Sufi Poem, al-Ta'yyat al Kubra, JMIAS 39, 2006, p. 37

¹²⁰ - حاجي خليفة، كشف الظنون 2/265

¹²¹ - انظر كمال الحيدري، كتاب معرفة الله، المجلد 3، القسم 13. www.maarefislam.org

¹²² - انظر المجلد I، ص 174 والمجلد 2، ص ص 104-137

الرأي قد يبدو مغالطا ذلك أنّ بعض الدراسات أوضحت أنّ كثيرا من آراء الجندي مستلهمة من "الفكوك"، في حين أنّ كثيرا من تأويلات الكاشاني والقيصري مستمدة من الجندي.¹³²

والواضح أنّ تأثير القونوي على الجندي كان كبيرا؛ فقد حضر دروسه في قونية حول "شرح الفصوص"، وكتب ملاحظاته خلال هذه الدروس، واستطاع بذلك أن يسجّل دقائق الفصوص وأسراره وأن يشرح غموضه. ويقرّ الجندي في مقدّمة شرحه على الفصوص بأنّ أستاذه صدر الدين شرح له خطبة الكتاب ففهم بذلك مضمون الكتاب يقول: "ولقد كان سيدي وسندي وقدوتي إلى الله (ت) الإمام اعلام، علم العلماء الأعلام شيخ مشايخ الإسلام حجة الله في الأنام، سلطان المحقّقين، كهف العارفين الواصلين، نخر العالمين بالله في العالمين، إمام الورثة المحمديين، مكمل الأفراد والنذر من الأولاد الإلهيين أبو المعالي صدر الحق والدين محيي الإسلام والمسلمين محمد بن إسحاق القونوي شرح لي خطبة الكتاب، وقد أظهر وارد الغيب عليه آياته، ونفح النفس الرحماني بنفحاته، واستغرق ظاهري وباطني روح نسماته... وأثر تأثيرا كماليا في راجلي وقاطني؛ فأفهمني الله من ذلك مضمون الكتاب كله في شرح الخطبة..."¹³³. وهذا الشاهد يغني عن أيّ تعليق، وهو يؤكّد ما لاحظته الدارسون من أنّ طريقة شرح الجندي برمتها وأسلوبه متشعب بمصطلحات القونوي ومقاربتة. ويكفي للدلالة على ذلك أنّ الجندي بعد أن أكمل شرحه عرضها على القونوي، وقرأها عليه حسب ما يذكره الكاشاني: "وقد وجدت في نسخة قرأها الشيخ العارف مؤيد الدين الشارح للكتاب هذا على الشيخ الكامل صدر الدين القونوي بخطه بالوجه (وجوه العطف أو الرفع لكلمة سر في عبارة ابن عربي "ويظهر به سره إليه")".¹³⁴

ولم تقتصر صلة الجندي بالقونوي على شرح الفصوص، وإنّما امتدّت فيما يبدو إلى باقي مؤلفاته؛ فقد وصف القونوي باعتباره "الإنسان الكامل في عصره وقطب أقطاب زمانه وخليفة خاتم الولاية النبوية"¹³⁵ والخليفة هنا ليس النائب فحسب، بل هو أيضا الوريث المعين. فضلا عن ذلك لم يزعم أحد بعد ابن عربي أنّه توصّل إلى فهم سر القدر، وأنّه ذاقه من خلال تجربة صوفيّة سوى ربيبه وتلميذه صدر الدين القونوي وبعده تلميذه الجندي،¹³⁶ وقد كان للجندي دور مهم في انتقال تأثير ابن عربي والقونوي من خلال تلاميذه، ومنهم عبد الرزاق الكاشاني الذي درس شرح الفصوص عليه، ثم ألّف شرحا على هذا الكتاب يعدّ من أكثر شروح

¹³² - انظر:

William (Chittick), The Chapter Headings of the Fusus, first published in the Journal of the Muhyiddin Ibn Arabi Society, vol. II, 1984

¹³³ - انظر الجندي، شرح فصوص الحكم، تحقيق جلال الدين أشتياني، قم، مؤسسة بوستان كتاب 1389هـ، ص 17

¹³⁴ - عبد الرزاق الكاشاني، "شرح فصوص الحكم، مصر، مطبعة مصطفى بابي الحلبي (د ت)، ص 9

¹³⁵ - انظر. Chittick, Nafahat al-Ruh, translated in the Last Will and testament, p. 32.

¹³⁶ - د بكري علاء الدين، سر القدر بين ابن عربي والقونوي، مجلة جدل، العدد1، خريف 2010.

الفصوص انتشاراً، وهو غالباً ما يلخص أو يعيد صياغة جمل شرح الجندي،¹³⁷ وكذلك الأمر بالنسبة إلى صائغ الدين علي بن تركة الأصفهاني (ت 835هـ)؛ فقد أكمل شرحه على الفصوص سنة 831هـ، وله رسالة حول الوجود وسمها بـ"تمهيد القواعد"،¹³⁸ وهي كثيراً ما تعيد صياغة جمل شرح الفصوص للجندي. وقد تواصل تأثير آراء الجندي في العصور اللاحقة من ذلك ما تجلّى في كتاب عبد الرحمان الجامي "نقد النصوص في شرح نقش الفصوص" لابن عربي؛ حيث ينعت الجندي بالشيخ الكامل العارف، وينوّه بأرائه وبشعره من ذلك قوله: "ولله درّ الشيخ مؤيد الدين الجندي؛ حيث قال على بحر البسيط:

البحر بحر على ما كان في قدم إنّ الحوادث أمواج وأنهار

لا يحجبك أشكال تشاكلها عمّن تشكّل فيها في أستاره.¹³⁹

ولعلّ هذه المنزلة التي حظي بها الجندي في كتابات علماء العصور المتتالية بعده، هي التي تفسّر ذهاب بعض الدارسين إلى أنّ شرحه الفصوص تجاوز ما كان للفكوك من أثر.¹⁴⁰

5- أثر القونوي في داود القيصري (ت 751هـ)

داود القيصري عالم تركي ولد بـقيصرية، وهي مدينة من أمّهات المدن في وسط الأناضول. وقد درس علم التصوّف على عبد الرزاق القاشاني (ت 730هـ)، ولمّا فتح السلطان العثماني الثاني أورخان غازي مدينة إزنيق في سنة 735هـ بعد أن كانت تحت حكم البيزنطيين، بنى فيها أول مدرسة عثمانية، واستدعى القيصري للتدريس فيها وإدارتها، فظلّ فيها خمس عشرة سنة تقريباً حتى وفاته.¹⁴¹

وقد عدّ القيصري بفضل عمله في هذه المدرسة ومؤلفاته مؤسساً لتعاليم ابن عربي في الدولة العثمانية¹⁴²، ويستند هذا الحكم إلى الأثر الكبير لمؤلفات القيصري إن على العلماء العثمانيين أو الفرس. وفي صدارة هذه

¹³⁷ - انظر:

Chittick, Ibn al-Arabi, Encyclopaedia iranica

¹³⁸ - حقّقه آشتياني، طهران، 1396هـ/1976م.

¹³⁹ - الجامي، نقد النصوص، ص ص 59-60

¹⁴⁰ - انظر:

Sachiko Murata, The Tao of Islam a source book on gender relationships in islamic thought, p 92

¹⁴¹ - انظر مقدمة محقق رسائل القيصري، محمد بايرقدار، فيفري 1997، ص ص 8-9

¹⁴² - راجع:

Tahrani, A general outline of the influence of ibn Arabi on the ottoman Era,
<http://www.ibnarabisociety.org/articles/ottomanera.html>

المؤلفات شرحه "لفصوص الحكم" لابن عربي.¹⁴³ وقد بلغت الشروح المتتالية على "فصوص الحكم" مرحلة النضج من خلال شرح القيصري، فهو في نظر بعض الدارسين أكثر الشروح فائدة لفهم المعنى الحرفي لنص ابن عربي، فهو يقتفي أثره بشكل لصيق ونادرا ما يبتعد عنه ليخوض في جدل لا يرتبط مباشرة بالمقطع الذي يزمع شرحه.¹⁴⁴

وتتجلى تأثيرات القونوي في القيصري في عدة مستويات؛ فعلى صعيد أول تذكر بعض المصادر التاريخية، أنه كان تلميذا له وأخذ عنه علم التصوف، وهذا غير ممكن تاريخيا حسب بعض الباحثين؛¹⁴⁵ لأن القيصري لم يذكر شيئا عن هذا، ولم يثبت أنه حل بمدينة قونية قبل وفاة القونوي أو أن القونوي رحل إلى مدينة قيصريّة، فضلا عن ذلك، فإن القيصري نهل مبادئ التصوف من الكاشاني ودرس عليه "فصوص الحكم".

لكن شيخه هذا ليس المصدر الوحيد لمعرفة الصوفيّة، فهو منذ مقدمة شرحه يقر بأنه استفاد فيه من كتب الشيخ ابن عربي وأولاده؛ أي تلاميذه، يقول: "فشرعت فيه مستعينا بالله طالبا لرحمته أن أقيد بعض ما فتح الله لي فيه وما استفدت من كتب الشيخ وكتب أولاده رضوان الله عليهم أجمعين".¹⁴⁶

وبناء على هذا لم يستعر القيصري أسلوب الشيخ القونوي في كتبه فحسب، وإنما أيضا المفاهيم الأساسية فيها¹⁴⁷ من ذلك احتجاجه بقول صدر الدين القونوي في "مفتاح الغيب": "والوجود الظلي تجلّ من تجليات غيب الهوية"¹⁴⁸، والملاحظ أنّ هذه العبارة كثيرة الدوران على ألسنة علماء الصوفيّة، فهم يعبرون عن الفيض الأقدس بالظل، وعن الفيض المقدس بظل الظل¹⁴⁹. وترتبط هذه المسألة بالحديث عن الوجود ومراتبه، وهي خمسة حسب القيصري وأستاذه القاشاني اللذين احتذايا بالقونوي في هذا التقسيم. وقد أطلق عليها الحضرات الخمس وهي (1) الأحدية (2) الواحدية (3) عالم الجبروت (4) عالم الملكوت (5) عالم الملك.¹⁵⁰

¹⁴³ - محمد داود القيصري، شرح فصوص الحكم، تحقيق جلال الدين آشتياني، طهران 1375هـ.

¹⁴⁴ - W. Chittick, The Chapter Headings of the Fusus, p. 1

¹⁴⁵ - انظر مقدمة محقق رسائل القيصري، ص 8

¹⁴⁶ - القيصري، شرح الفصوص، تحقيق آية الله حسن حسن زاده الأملي، قم، بوستان كتاب، 1382 هـ، 16/1

¹⁴⁷ - راجع:

Rasid Hafizovig, A Bosnian Commentator on the Fusus al-Hikam, Journal of the Muhyiddin Ibn Arabi Society, vol 47, 2010, p. 89

¹⁴⁸ - القيصري، شرح الفصوص، ص 172

¹⁴⁹ - جلال الدين آشتياني، المصدر نفسه، هامش 11 من الصفحة نفسها.

¹⁵⁰ - انظر:

W. Chittick, The five divine Presences from al-Qunawi to al-qaysari, Muslim world, 72, 1982, 107-128

6- تأثير القونوي في عبد الرحمان الجامي (898هـ)

إنّ الناظر في ترجمة عبد الرحمان الجامي لا يمكن إلاّ أن يصاب بالذهول والإعجاب في الآن ذاته بسبب التنوّع الكبير في شخصيّة هذا العالم. فهو يجمع بين انتماءين صوفيّين؛ أحدهما للطريقة النقشبندية؛ والثاني لمدرسة محيي الدين ابن عربي، وهو يكتب النثر والشعر كما أنّه يكتب في تصوّف وفي العلوم الأخرى. وعلاوة على هذا، فهو يكتب باللغتين العربية والفارسية، وهو غزير التآليف، ويعدّ خاتمة المرحلة السابقة لإعلان التشيع مذهباً رسمياً لإيران. وقد كان سنياً حنفيّاً مع أنّه عاش معظم حياته في ظلّ حكم التيموريين بهراة الواقعة بأفغانستان، وهي منطقة يتكلّم أغلب أهلها الفارسيّة.¹⁵¹

ولئن كان للجامي قرابة الخمسين كتاباً، فإننا لن نهتمّ منها إلاّ بما تجلّت فيه تأثيرات ابن عربي والقونوي. وفي صدارة هذه المؤلّفات شرحه "لفصوص الحكم" لابن عربي. وابن عربي في نظره أبرز متصوّفة العرب على غرار اعتبار الفرس جلال الدين الرومي أبرز المتصوّفة. وقد رفض من هذا المنطلق انتقادات علاء الدين السمناني الصوفي الكبروي لابن عربي¹⁵². وقد أقرّ الجامي أنّه عاجز عن فهم بعض كتابات ابن عربي، إلاّ أنّه لمّا درس آثار تلميذه صدر الدين القونوي، اتّضحت آراء ابن عربي في ذهنه. وقد أعلن -حسب ما ذكره تلميذه لاري- أنّ هذا الباب إن فتح له، فإنّه سينشر أفكار مدرسة ابن عربي حتى يقربها من عامة الناس. وكان كلّ ما كتبه بعد ذلك في موضوع التصوّف ينشد تحقيق هذا المبتغى.¹⁵³

وكان التجسيد الرئيس لهذا الهدف من خلال شرحه الفصوص، وهو في الواقع شرحان يمثّلان أوائل الحياة العلمية للجامي وأواخرها؛ ففي البداية كتب "نقد النصوص في شرح نقش الفصوص"،¹⁵⁴ وهو شرح لمختصر ابن عربي نفسه لكتابه "فصوص الحكم"، وتمّ هذا الشرح سنة 863 هـ/1459م¹⁵⁵، وهو تقريبا الزمن الذي كان فيه الجامي تحت تأثير الشيخ النقشبندي ناصر الدين عبيد الله أحرار السمرقندي (ت 859هـ). ويستند هذا الشرح بصفة أساسيّة إلى القونوي والشراح الآخرين للفصوص كالجندي، والفرغاني، والكاشاني، والقيصري لذلك نجد فيه صفحات كاملة من أقوالهم في هذا الشرح. ومنذ مقدمة هذا الكتاب نجده يصف القونوي بأنّه شيخ

¹⁵¹ - انظر ترجمته من خلال مقال "جامي" (Djami) لهوارت (Huart) وماسي (Massé) بـ د.م.إ. ط2، (بالفرنسيّة)، 433-432/2. وكذلك ترجمته بالنسخة الإلكترونية من الموسوعة الإيرانية.

¹⁵² - فصل جامي بالموسوعة الإيرانية.

¹⁵³ - المرجع نفسه.

¹⁵⁴ - حقّه حديثاً الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي ونشرته دار الكتب العلمية ببيروت سنة 2005.

¹⁵⁵ - انظر:

W. Chittick, Ibn Arabi's own summary of the Fusus « The imprint of the Bezels of the wisdom, Journal of the Muhyiddin Ibn Arabi Society, vol11, 1982, p1

عالم مدقق و عارف كامل محقق وارث علوم سيد المرسلين صدر الحق والملة والدين¹⁵⁶. وبعد ذلك ذكر الجامي عدة أقوال للقونوي أخذها من كتبه ككتاب "الفكوك"¹⁵⁷ وكتاب "مفتاح الغيب"¹⁵⁸ وكتاب "تفسير الفاتحة"¹⁵⁹. وقد لا يكون مجرد ذكر شواهد من هذه الكتب حجة قوية على تأثير القونوي في فكر الجامي وكتبه وعلى درجة إجلاله له، لكنّها لما كانت في بعض الأحيان تقتزن بأوصاف لصدر الدين القونوي تخبر عن تقدير الجامي الكبير له، فهي تصبح حجة قويّة على هذا التأثير والإجلال. ومن هذه الأوصاف نعته بقُدوة المحقّقين¹⁶⁰ وبـ "شيخنا الإمام الأكمل أبي المعالي صدر الدين محيي الإسلام والمسلمين محمد بن إسحاق بن محمد"،¹⁶¹ وقد استفاد الجامي من القونوي في شرح المقصود بمرتبتي التنزيه والتشبيه، وفي شرح مفهوم الإنسان الكامل وغيرها من المسائل. ولذلك ذهب بعض الدارسين إلى أنّ "نقد النصوص" للجامي يصلح -أكثر من النص الأصلي لابن عربي- ليكون مقدمة عامّة لتصوّف ابن عربي مع اعتناء خاص بمفهوم الإنسان الكامل¹⁶². وبعد هذا الشرح ألف الجامي في أواخر حياته بين سنتي 1490 و1491 شرحاً عربياً على كامل نصّ الفصوص عنوانه بـ "شرح فصوص الحكم" اعتبره بعض الباحثين محاولة متواضعة نسبياً لاقتصاره على توضيح المعنى المباشر لكلّ جملة في النص الأصلي¹⁶³. ولا شكّ في أنّه استفاد في شرحه لآراء ابن عربي من القونوي؛ فقد أقرّ أنّ القونوي أوّل شارح لتعاليم ابن عربي،¹⁶⁴ وبيّن أنّ مقصد الشيخ ابن عربي في مسألة وحدة الوجود يمكن أن يفهم من خلال الجمع بين العقل والشرع، وهو ما يتّضح أثناء دراسة مؤلفات صدر الدين، وفهمها كما ينبغي لها أن تفهم¹⁶⁵. والملاحظ أنّ الجامي له "رسالة في الوجود"، وكان من أكثر المدافعين عن مبدأ وحدة الوجود حتّى لُقّب بالوجودي. وكان من الذين ردّوا على المتكلمين المعترضين على هذا المذهب لدى الصوفيّة بحجة تعارضه مع العقل؛ فقد بيّن هو وعدد من متصوّفة القرن التاسع للهجرة كالفناري والمهائمي، أنّ هذا المذهب يمكن أن يفسّر بطريقة عقلية محضة بما يعني أنّه لا يتناقض مع معطيات العقل. وهنا أيضاً يظهر تأثير القونوي في الجامي، فقد أقرّ في "نفحات الأنس" بأنّ الشيخ صدر الدين "كان من أعظم تلامذة ابن عربي وتربى في

¹⁵⁶ انظر نقد النصوص للجامي، طبعة حجرية، لندرة، أشرف عليها الميرزا محمد ملك الكتاب الشيرازي، ص 3

¹⁵⁷ ذكره في خمسة مواضع هي حسب طبعة الكيالي: ص 42 - 75 - 49 - 151 - 153

¹⁵⁸ - ذكره في الصفحتين 42 و90

¹⁵⁹ - ذكره في الصفحة رقم 90

¹⁶⁰ - المصدر نفسه، ص 90

¹⁶¹ - المصدر نفسه، ص 151

¹⁶² - انظر فصل "جامي: بالموسوعة الإيرانية.

¹⁶³ - المرجع نفسه.

¹⁶⁴ - الجامي، نفحات الأنس، ص 556

¹⁶⁵ - راجع Jane Clark, Early Best Sellers, p 25

حجره وأخذ العلوم والمعارف منه حتى صار خليفة له وجلس في مقامه بعد وفاته لإشاعة علومه ومعارفه وبعد ذلك كان عارفا بعلوم لا يصل أحد إلى حقيقتها إلا بعد تتبّع تحقيقاته والتفكير في تدقيقاته لا سيما مسألة وحدة الوجود".¹⁶⁶

ولم يقتصر تأثير القونوي في الجامي على شرح فصوص الحكم، بل امتدّ ليشمل كتباً أخرى له، منها شرح "اللمعات" فخر الدين العراقي وسمه بـ "أشعة اللمعات". وتعدّ مساهمته في شرح "اللمعات" جوهرية بسبب معرفته بالعربية والفارسية، وبالتراث الصوفي، وبسياق تأليف كتاب العراقي.

ويعجّ هذا الشرح بأقوال الصوفية، وخاصة أقوال ابن عربي وتلميذه القونوي وأتباعهما¹⁶⁷. وقد اعتمد الجامي في شرحه هذا مسارا تأويليا نابعا من انتمائيه إلى مدرسة ابن عربي والقونوي وقائما على أقوالهما المباشرة. وقد ظهر التأثير بالقونوي في هذا الكتاب منذ المقدمة؛ حيث ذكر القونوي بأنه "قدوة العلماء المحققين وأسوة العرفاء الموحدين"،¹⁶⁸ وقد ظلّ هذا الشرح يعتمد في تدريس التصوف في إيران إلى هذا العصر¹⁶⁹. وألف الجامي أيضا رسالة صوفية موسومة بـ "اللوائح" خلال سنتي 1465 و1466م، وهي سلسلة من التأملات الصوفية يمتزج فيها الشعر بالنثر ذكر فيها كثيرا من شيوخ الصوفية على رأسهم القونوي وابن عربي. وقد حضر القونوي أيضا في كتاب الجامي "الدرّة الفاخرة في تحقيق مذهب الصوفية والمتكلمين والحكماء المتقدمين"، وهو يشتمل على إحدى عشرة مسألة تمّت مقاربتها من خلال بعض المتكلمين والفلاسفة والمتصوفة الذين يمثلهم القونوي والفناري وداود القيصري وابن عربي نفسه.

وتفيدنا بعض مؤلفات الجامي في توثيق بعض ملامح الحركة الفكرية التي كانت تطبع حياة القونوي في صلاته بعلماء عصره، يقول الأشتياني: "قال مولانا جامي في رسالته الوجودية: من الأدلة الدالة على امتناع وجود الكلي الطبيعي ما أورده المحقق الطوسي قدس سره في رسالته المعمولة في أجوبة المسائل التي سأله عنها الشيخ صدر الدين القونوي قدس سره، وهو أنّ الشيء العيني لا يقع على أشياء متعدّدة، فإنّه إن كان في

¹⁶⁶ - انظر مقدمة محقق كتاب "مفتاح الغيب" للقونوي، ص 3

¹⁶⁷ - انظر:

Browne's traduction of Jami's preface to Asheat, and see lit hist. Persia, III, pp 445-447

¹⁶⁸ - لمعات حضرة مولانا فخر الدين العراقي، طبعة حجرية بالفارسية، ص 3

¹⁶⁹ - يذكر سيد حسين نصر أنه درس "أشعة اللمعات" على مدى سنوات على يد سيد محمد كاظم عسار الذي تطرق إلى أهم محاور التصوف من خلال هذا النص انظر:

Seyyed Hossein Nasr, Theoretical Gnosis and doctrinal Sufism and their significance today, p8

كل واحد من تلك الأشياء لم يكن شيئاً بعينه بل كان أشياء، وإن كان في الكلّ من حيث هو كلّ والكلّ من هذه الحيثية شيء واحد فلم يقع على أشياء".¹⁷⁰

بعض ملامح أثر القونوي في بعض الثقافات الإنسانية

1- تأثير صدر الدين القونوي في الثقافة العثمانية التركية

إننا لا ندعي من خلال هذا المبحث، أننا نستطيع بمفردنا أن نحيط علماً بكل تجليات تأثير صدر الدين القونوي في الفكر والثقافة التركية. لكننا سنجمع بعض الملاحظات والاستنتاجات التي خلصنا إليها بعد أن استعرضنا أثر القونوي في بعض تلاميذه وأثر كتبه في الفكر والواقع الإسلاميين. ولعلّ الملاحظة الأولى، تتمثل في كثرة المخطوطات التي احتفظت بها المكتبات التركية، سواء ما تعلّق منها بكتب القونوي نفسه، أو بالشروح والتعليق التي كتبت على مؤلفاته. وهذه المخطوطات تحتاج إلى بحث مستقلّ وشامل ومعتمّق يحصر المخطوطات التركية المختلفة من حيث عددها وحالتها ومحتواها ويقوم في مستوى ثانٍ بمقارنتها بما يوجد في مختلف مكتبات العالم من هذه المخطوطات. ولما كان هذا العمل مستعصياً على فرد بعينه، فإنّ مراكز البحث المهتمّة بتراث ابن عربي وتراث صدر الدين القونوي مدعوّة إلى تكليف بعض الباحثين قصد القيام بهذا الجهد الضروري للبحث العلمي.

أمّا الملاحظة الثانية، فتتمثل في أن كتب صدر الدين القونوي كان لها أثر مهمّ على غرار كتب شيخه ابن عربي في المدارس العثمانية لكن الدراسات تبدو شحيحة في هذه المسألة في حدود علمنا المتواضع.

أمّا الملاحظة الثالثة، فننصّ على تواصل تأثير كتابات القونوي وتعاليمه على مرّ العصور، ويمكن أن نتوقّف هنا عند محطات رئيسة تستهلّ بداود القيصري ابن القرن الثامن للهجرة. وهذا العالم المنتمي إلى مدينة قيصرية التركية مهمّ جداً لسببين على الأقلّ؛ أولهما أنّه كان من أنصار مدرسة ابن عربي، لذلك شرح كتابه "فصوص الحكم"، وتجلّى من خلاله تأثيره بالقونوي وبالجندي تلميذ القونوي المباشر؛ والثاني أنّه تولّى مسؤولية إدارة أوّل مدرسة عثمانية والتدريس فيها. ولا ريب في أنّ هذه المدرسة كانت فرصة له لتكريس تعاليم مدرسة ابن عربي وصدر الدين القونوي. وكان مقرّ هذه المدرسة مدينة إزنيق التي كانت تحت الحكم البيزنطي، ففتحها العثمانيون سنة 731 هـ، وأرادوا من خلال إنشاء مدرسة فيها تكريس الوجود العثماني الإسلامي فيها.

¹⁷⁰ - جلال الدين آشتياني، شرح فصوص الحكم للقيصري، ص 195

وخلال النصف الأوّل من القرن التاسع للهجرة، ترسّخ أثر صدر الدين القونوي في الفكر العثماني من خلال أحد أبرز أعلامه هو الملاً الفناري (ت 834هـ)؛ فقد كتب أهمّ شرح على كتاب "مفتاح غيب الجمع والوجود" للقونوي وسمه بمصباح الأُنس بين المعقول والمنقول في شرح مفتاح غيب الجمع والوجود"، وتتأتّى أهميّة الفناري من أنّه أوّل شيخ إسلام عثماني وممّن تولّى القضاء بمدينة بورسا. وفي عهده يبدو أنّ بورسا أصبحت مركزاً علمياً وفكرياً مهمّاً. أمّا أهميّة هذا الكتاب، فتتأسّس على أنّه أضحى نصّاً تأسيسياً مهماً إن لدى الطرائق الصوفية في تركيا أو في إيران. وهذا ما جعل بعض المتصوّفة يتصدّون لشرحه على غرار محمد بن قطب الدّين الإزنيقي (ت 885هـ)، وما يؤكّد ملاحظتنا الخاصّة ببورسا أنّ الملاً أحمد إلهي (ت 896هـ) أصيل بخارى استقر في بورسا؛ حيث ترجم "مفتاح الغيب" للقونوي.

وفي بداية القرن العاشر للهجرة، نجد محيي الدين محمد الاسقيليبي شيخ ياقوس (ت 920 هـ) يذكر القونوي وتلاميذه كالجندي والكاشاني¹⁷¹. ولم يخل النصف الثاني من هذا القرن من صدى أعمال القونوي؛ فقد كتب نور الدين زاده (ت 981هـ) شرحاً على كتاب النصوص للقونوي.

وفي القرن الحادي عشر، كتب عثمان فضلي الإلهي (ت 1102 هـ) "مصباح القلب في شرح مفتاح الغيب"، كما كتب تعليقه على شرح الفاتحة للقونوي.

وفي القرن الثاني عشر، كتب عبد الرحمان البروسوي الحنفي المشهور باسم موج زاده (ت 1161هـ/1748م) شرحاً لمفتاح الغيب، وشرح هذا الكتاب أيضاً تركيان من القرن الثالث عشر للهجرة، هما: أحمد عبد الله القريمي (ت 1211 هـ) وعبد اللطيف بن محمد البروسوي المشهور باسم غزي زاده (ت 1242 هـ).

وهكذا، فإنّ شروح كتب القونوي من لدن العلماء غطت كلّ العصور تقريباً بدءاً من القرن الثامن للهجرة، ووصولاً إلى القرن الثالث عشر. لكن تأثير القونوي في الفكر العثماني لا يمكن أن يقتصر على تبين الشروح التي كتبت على مؤلفاته؛ فمن الضروري توسيع دائرة النظر لتشمل مؤلّفات أخرى كتبها المفكّرون الأتراك، إن في مجال التصوّف أو غيره من؛ ذلك أنّه في إطار شروح كتب ابن عربي التي كتبها كتاب أتراك، قد نعثر على صدى مؤلّفات القونوي وآرائه وتعاليمه. من ذلك "شرح فصوص الحكم" لبالي أفندي (ت 960 هـ/1553م)؛ حيث يقول على سبيل المثال في تفسير عبارة "فنقول اعلم": "قال مولانا قلمي في "شرح مفتاح الغيب" للشيخ

¹⁷¹ - انظر:

Mustafa Tahrali, A General outline of the influence of Ibn Arabi on the Ottoman Era, ibid.

صدر الدين القونوي اعلم تنبيه وإيقاظ لأهل الطلب والترقي على التوجه الكامل والإقبال التام على إصغاء ما يرد بعده بقلب حاضر وإيماء إلى جلاله قدره¹⁷².

ويبدو أنّ وراء التأثير الكبير الذي مارسه صدر الدين القونوي في الفكر العثماني والتركي الحديث عوامل شتى من أبرزها العامل السياسي؛ فقد أظهر الحكام العثمانيون الإجلال لمحيي الدين ابن عربي وتلاميذه، فحافظوا على تراثهم، وشجّعوا على الاعتراف به من ذلك أنّ السلطان برهان الدين (ت 800هـ / 1398م) كلّف كتاباً بشرح آثار صدر الدين القونوي وكتب هو نفسه شرحاً وسمه بـ"إكسير السعادات في أسرار العبادات". وكان قد ترأس مع شيخ صوفي هو علاء الدين يار علي شيرازي دارت على بعض المسائل الماورائية في "مفتاح الغيب". ويبدو أنّ اهتمام السلطان بالشيخ القونوي، بدأ عندما أهدى سجادين إلى ضريح صدر الدين بكنيا، وأهديت إليه في المقابل نسخة من "فصوص الحكم" محلاة بكتابات بخط القونوي ذاته¹⁷³.

والظاهر أنّ الدّفع الكبير الذي وجدته مدرسة ابن عربي والقونوي كان بداية من عهد السلطان العثماني محمد الفاتح¹⁷⁴ (1451-1481)؛ ذلك أنه كان من أتباع هذه المدرسة. وقد اتخذ شيخه شمس الدين (ت 1459م) مستشاراً له، وهو تلميذ الحاج بيرم (ت 1430م) مؤسس الطريقة البيرمية في تركيا، وأحد أتباع مدرسة ابن عربي. وقد كلّف هذا السلطان ثلاثة علماء على الأقل بشرح كتب صدر الدين هم الإزنيقي، والقرمي، والإلهي. ويتضمّن شرح الإلهي على مفتاح الغيب عدة إشارات تخصّ السلطان في ثنايا النصّ، تبين أنّه ينتظر منه أن يقرأه¹⁷⁵.

كما أمر هذا السلطان بأن تترجم بعض كتب صدر الدين إلى الفارسيّة، واحتفظ بنسخة من "شرح الفصوص" للجندي تلميذ القونوي المباشر في مكتبته الخاصّة¹⁷⁶ ولم يكن السلطان محمد الفاتح السلطان العثماني الوحيد الذي يهتم شخصياً بابن عربي وتلاميذه وأتباعه؛ فقد واصل ابنه السلطان بايزيد الثاني السير

¹⁷² - بالي أفندي، شرح فصوص الحكم، المطبعة النفيسة العثمانية، 1309هـ، ص 27

¹⁷³ - انظر:

Jane Clark, Earlybest sellers in the Akbarian tradition, p. 13

وانظر أيضاً:

W. Chittick, « Sultan Burhan al-Din's sufi correspondance in « Zeitschrift für die Kunde des Morgaulandes, Vienna, 1981, pp. 33-45

¹⁷⁴ - انظر ترجمته في مقال بعنوان محمد 2 (Mehemmed II) كتبه خليل أنالشيك (Halil Inalcik) بدم، ط 2 (بالفرنسية) 972/6

¹⁷⁵ - انظر: دائرة المعارف الإسلامية، 754/8

¹⁷⁶ - راجع: Jane Clark, Ibid, pp. 13-14

ومنذ سنة 643هـ على أقل تقدير درّس صدر الدين تائيه ابن الفارض بالفارسيّة، وأضحت دروسه ملهمة لتلاميذه. وكان كثير من هؤلاء يكتبون باللغتين العربية والفارسية، ويترجمون أحياناً كتبهم من لغة إلى أخرى. وفي هذا الصدد استلهم سعيد الدين الفرغاني شرحه المنهجي لتائيه ابن الفارض بالفارسية من خلال دروس القونوي. وقد عرضه عليه، فاستحسنه وكتب بعض العبارات في ذلك فوضعها الفرغاني في ديباجته على الشرح الفارسي للتائيه تيمناً وتبرّكاً.

أمّا فخر الدين العراقي تلميذ القونوي، فهو يعدّ من أكبر شعراء اللغة الفارسيّة. وقد ألف شرحاً مختصراً لفصوص الحكم لابن عربي وسمه باللمعات، وكان تأليفه في قونية بين سنتي 669هـ و673هـ؛ أي في الفترة التي كان فيها تحت تأثير تعاليم القونوي لذلك استعاد في مصنّفه هذا الأطروحات التي تعلّمها من القونوي كوحدة الوجود والإنسان الكامل، ويعتبر كتاب "اللمعات" أحد الكتب التي استأنس من خلالها المتصوّفة الإيرانيّون بفكر الشيخ الأكبر. وقد اعتمد هذا الكتاب مرجعاً لدراسة التصوّف وشرح شروحا كثيرة تتجاوز الثلاثين منها شرح علي بن يوسف الكركري (9 هـ/15م) الذي يستند خاصّة إلى صدر الدين القونوي وأوحد الدين الكرمانلي. ويشتمل ديوان فخر الدين العراقي على عشرين قصيدة تدور على مواضيع دينيّة وصوفيّة يمدح فيها العراقي أساتذته الروحيين، ومنهم صدر الدين القونوي. وكان القونوي ذا تأثير على تلميذ فارسي آخر تتلمذ على يديه، هو قطب الدين الشيرازي (ت 710هـ) الذي ولد بشيراز؛ فقد درس مقتطفات من "جامع الأصول في أحاديث الرسول" لابن الأثير على يد صدر الدين خلال سنة 673هـ¹⁸². وبالفعل قرأ الشيرازي عليه بقونية وصاحبه في العلوم الظاهرة والباطنة¹⁸³. وبعد فترة التتلمذ تصدّى الشيرازي للتدريس. ويخبرنا السيوطي أنّه سكن تبريز وأقرأ بها العلوم العقلية، وحَدّث بـ"جامع الأصول" عن الصدر القونوي عن يعقوب الهمذاني عن المصنّف¹⁸⁴.

ولئن كنّا لا نعرف مدى تأثير تعاليم ابن عربي والقونوي في كتابات قطب الدين الذي يعدّ أشهر شراح كتاب "حكمة الإشراق" للسهروردي، فإنّنا نعلم أنّ فارسيّاً آخر هو أبو حامد بن تركه (أواخر ق 7 وأوائل ق 8هـ) حاول المزج بين تعاليم ابن عربي والسهروردي. ويظهر ذلك من خلال كتابه "قواعد التوحيد"، إذ يلاحظ

¹⁸² - انظر: H. Pitter, Autographs in Turkish Libraries, in Oriens VI, 1953, 63-90.

وانظر أيضاً: شنيك (Chittick)، صدر الدين القونوي، د.م.!. 775/8

¹⁸³ - هيفروديركي، القونوي، الموسوعة العربية www.arab.ency.com

¹⁸⁴ - السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر، 1399هـ/1979م، 282/2.

المنتبّع لمحتواه أنّه يحتذي في كثير من مواقفه ومسائله بتعاليم صدر الدين القونوي، بل إنّه يلخص فقرات من أول شرح كبير لفصوص ابن عربي كتبه مؤيد الدين الجندي تلميذ القونوي¹⁸⁵.

وقد تجلّى تأثير القونوي في الثقافة الفارسيّة من خلال كتبه على غرار "مفتاح غيب الجمع والوجود"؛ فقد كان من المراجع الدراسيّة الأساسيّة في المدارس الإيرانيّة إلّا أنّه لا يدرس إلّا بعد استيفاء دراسة أكثر النصوص الفلسفيّة عسرا. وظلّ هذا الكتاب من المراجع الأولى لتدريس التصوّف في إيران.

كما عدّ شرحه "مصباح الأنس" للفناري نصا تأسيسيا مهمّا لدى صوفيّة إيران. ولعلّ أحد أسباب اهتمام الإيرانيين بمفتاح الغيب أنّه ترجم إلى الفارسيّة بأمر من السلطان محمد الفاتح سنة 880هـ. وظهرت في القرن 14 هـ تعليقات إيرانيّة عدّة عليه اضطلع بها الميرزا الأشكوري وسيد محمد القمي ومحمد رضا القمشئي، وحسن حسن زاده الأملي، وكتب آية الله الخميني تعليقه على هذا الكتاب سنة 1355. وترجم إلى الفارسيّة الحديثة سنة 1995-1996.

وكان كتاب "الفكوك" أيضا محلّ اهتمام كبير ومخصوص في الفكر الإيراني؛ فقد كان ضمن الكتب الثلاثة للقونوي التي كانت تدرس في الحوزات الفلسفيّة والعرفان الإسلامي في القرون الستة الأخيرة. وتواصل الاحتفاء به في الفكر الإيراني الحديث من ذلك ترجمته إلى الفارسية سنة 1992 و1993 على يد محمد خواجوي الذي ترجم أيضا كتاب "إعجاز البيان في تأويل أم القرآن" للقونوي سنة 1996-1997.

ولا شك أنّ البحث في أثر صدر الدين في الثقافة الإيرانية لا يمكن أن يكتفي بتلاميذه المباشرين وكتبه الشخصية؛ لأنّ بعض العلماء الذين تشبّعوا بتعاليمه كان لهم فعلهم الجلي في الفكر الإيراني، من ذلك مثلا أنّ شروحا عدّة "للفصوص" بالفارسيّة مقامة على شرح القيصري للفصوص. وهذا التأثير مؤكّد في أول شرح فارسي للفصوص هو "نصوص الخصوص" لتلميذ القيصري بابا ركن الدين الشيرازي (ت 769هـ).

3- أثر القونوي في الثقافة العربيّة

إنّ دراسة أثر القونوي في الثقافة العربيّة من العسر بمكان لمحدودية الدراسات في هذا الموضوع، إلّا أنّ بحوزتنا بعض المعطيات الأولية التي سنشير إليها. وفي صدارتها أنّ النّقد الذي وجهه ابن تيميّة لابن عربي والقونوي، قد جعل مدرستهما موضع جدل في عدّة مراكز رئيسة في الثقافة العربيّة الإسلاميّة مثل القاهرة

¹⁸⁵ - راجع فضل الرحمان، أبو حامد صدر الدين محمد بن تركه (Torka)، الموسوعة الإيرانية الإلكترونيّة.

ودمشق¹⁸⁶. ومع ذلك يخبرنا بعض الدارسين أنّ القونوي كان له تلاميذ في مصر وسورية والأناضول؛ أي في الأماكن نفسها التي درّس فيها ابن عربي¹⁸⁷، إلا أنّنا مع الأسف لا نعرف أسماء تلاميذه في مصر وسوريا. ومع ذلك أنّه انطلاقاً من سنة 643 هـ قاد القونوي مجموعة من التلاميذ إلى القاهرة، وفي الطريق درس القونوي تائبة ابن الفارض¹⁸⁸. ويروي ابن العماد في هذا الصدد خبراً عن عبد الرؤوف المناوي يفيد بأنّ هذه الرحلة إلى مصر جمعت القونوي بعفيف التلمساني تلميذه العربي أصيل مدينة تلمسان الجزائرية، وأنّهما اجتمعا خلالها بالمتصوّف المغربي ابن سبعين¹⁸⁹. وقد كانت صلة القونوي بالتلمساني من العمق ما جعل القونوي يرسل إليه رسالة مطوّلة وسماها بـ"الإلماع ببعض كلمات أسرار السماع"، وبفضل هذه الصلة، وبفضل كتابات عفيف الدين أضحى موضع تبحر واحترام في موطنه تلمسان؛ حيث يسمّى "سيدي عفيف ابن تيرني، وهي منطقة في مدينة تلمسان الجزائرية. ورغم أنّ المصريين كان لهم تفضيل خاص للتصوّف الأخلاقي والعملي في مقابل التصوّف النظري والفلسفي، فإنّ تعاليم ابن عربي انتشرت في مصر في عهد المماليك خلال القرن 13، ومن أهمّ ناشريها عبد الوهاب الشعراني (ت 973 هـ)؛ فقد سعى إلى عقد الصلّة بين مبادئ التصوّف الشاذلي ومبادئ ابن عربي، وهذا ما يفسّر الترجمة التي خصّ بها القونوي في كتابه "الطبقات الكبرى" وترجمه عليه والتذكير بأنّه صاحب ابن عربي، وبأنّ له تفسيراً للفاتحة ومؤلفات أخرى. وهذه الإشارة ذكية؛ لأنّها لا تبرز من عناوين مؤلفاته سوى الكتاب الذي من شأنه أن يقرب صاحبه من قارئ، قد يكون حاملاً لأحكام مسبقة ضدّ مدرسة ابن عربي وتلاميذه. ويجدر هنا أن ننبّه على أنّ المصلح محمد عبده (1905م) قد اشتغل في أواخر حياته بدراسة ابن عربي، فهل اطّلع خلال ذلك على أعمال صدر الدين القونوي؟

وعندما ننعم النظر في قائمة شرّاح كتب القونوي، نلاحظ أنّ حظّ العرب منها قليل. نذكر في هذا الصدد بشرح لكتاب "النصوص" أنجزه عبد الكريم القطبي الحنفي المولود والمتوفى في مكة سنة 1055 هـ. كما شرح كتاب "مفتاح الغيب" مصطفى أفندي (ت 1308 هـ) قاضي غزة. ويوجد شرح آخر لشهاب الدين أحمد بن حسين الحموي.

 186 - انظر:

Jane Clark, Early best sellers, p. 10

187 - انظر:

W. Chittick, Spectrums of Islamic thought, in the legacy of Medieval Persian Sufism, ed. L. Lewidson (London 1992) p. 27

188 - شتيك (Chittik)، صدر الدين القونوي د.م.إ. 775/8

189 - ابن العماد، شذرات الذهب، 720/7

وفي سورية تجلّى تأثير القونوي على سبيل المثال من خلال "تفسير روح المعاني" لشهاب الدين الألوسي (ت 1270هـ)؛ ففي هذا التفسير ذكر متواتر لأسماء كبار الصوفيين كبشر وابن الفارض، وابن عربي، وصدر الدين القونوي¹⁹⁰ من ذلك قوله: "وذكر مولانا الشيخ صدر الدين القونوي قدّس سره في تفسيره الفاتحة أنّه ما من صورة إلّا ولها روح".¹⁹¹

وعندما تطرّق الألوسي إلى مسألة وجود الخضر أورد رأي من يقول: يكفي في ثبوته إجماع المشايخ وجماهير العلماء الأعلام، إلّا أنّ من نقد هذا الموقف اعتمد موقف القونوي يقول: "وتعقب بأنّ إجماع المشايخ غير مسلم فقد نقل الشيخ صدر الدين إسحاق القونوي في "تبصرة المبتدي وتذكرة المنتهي" أنّ وجود الخضر (ع) في عالم المثال"¹⁹². وقد ذكر الألوسي القونوي في مناسبتين أخريين، اهتم في الأخيرة منهما بمفهوم القلب يقول: "وينبغي أن يعلم أن للقلب عندهم كما قال الصدر القونوي إطلاقين؛ الأوّل إطلاقه على اللحم الصنوبري الشكل المعروف عند الخاصّة والعامّة؛ والثاني إطلاقه على الحقيقة الجامعة بين الأوصاف والشؤون الربانيّة وبين الخصائص والأحوال الكونية الروحانية منها والطبيعيّة...".¹⁹³

وفي سورية تواصل الاهتمام بابن عربي والقونوي من خلال عبد الغني النابلسي (ت 1144هـ). وقد شرح فصوص ابن عربي، وكتب كتابين في وحدة الوجود.

وقد تجلّى تأثير القونوي في الثقافة العربيّة الإسلاميّة بشكل خاصّ من خلال الأمير عبد القادر الجزائري (1883م)؛ فقد شرح رسالة الغيب للقونوي في كتابه "المواقف الروحية والفيوضات السبوحية"، وتدور هذه الرّسالة على فكرة وحدة الوجود وعلى نظريّة الإنسان الكامل. والمعلوم، أنّ الأمير عبد القادر درّس كتب ابن عربي في دمشق بعد نفيه من السلطات الاستعماريّة الفرنسيّة في الجزائر.

والمحصلة أنّ تأثير القونوي في الثقافة العربيّة، وإن لم يكن كبيراً مقارنةً بأثره في الثقافتين التركيّة والفارسيّة؛ فإنّه حاضر ويحتاج إلى مزيد من البحث والتنقيب في مصادر مختلف الطرائق الصوفية المنتشرة في البلاد العربيّة.

¹⁹⁰ - انظر أكرم علي حمدان، الجانب الصوفي في تفسير روح المعاني، مجلّة الجامعة الإسلاميّة بغزة، المجلد 14، العدد 2، جوان 2006

¹⁹¹ - الألوسي، روح المعاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 173/1

¹⁹² - المصدر نفسه، 326/15

¹⁹³ - المصدر نفسه، 100/22

الحنفي لكنّه في الحقيقة كان نابذا للتقليد وسالكا مسلك التصوّف والإشراق وعارفا بأساليب التصوّف خصوصا مسلك الشيخ محيي الدين بن عربي، وابن الفارض، والشيخ صدر الدين القونوي...¹⁹⁶

وقد تسرّب تأثير ابن عربي والقونوي إلى الفكر الصيني منذ أواسط القرن السابع عشر سواء من خلال مؤلفات كتبها صينيون مسلمون¹⁹⁷ أو عن طريق مصنّفات مترجمة لعلماء مسلمين. وفي هذا السياق يعدّ كتاب "اللوائح" و"أشعة اللمعات" لعبد الرحمان الجامي من أكثر الكتب المترجمة إلى الصينية تأثيرا في الفكر الصيني الإسلامي، وفي الفلسفة الكونفوشيوسية¹⁹⁸. ولما كانت كتب الجامي تعرض تعاليم ابن عربي وكبار أتباعه وخاصّة القونوي، فإنّه كان بالتأكيد جسرا أساسيا مرّت عليه آراء القونوي. ويعدّ "المقصد الأقصى" من الكتب التي ترجمت إلى الصينية، وكان مؤلفه عزيز الدين النسفي (ت 700هـ) تلميذ سعد الدين حموية (ت 649هـ)، وهو مؤلف عدّة كتب في التصوّف الفلسفي باللغتين العربية والفارسية، وقد كان متواصلا مع ابن عربي وصدر الدين القونوي. ويبدو أنّه حضر في الحلقات الفكرية ذاتها معهما مع أنّه لا يمكن أن يقال إنّه يمثل نفس اتجاههما. والنسفي أوّل من استخدم عبارة وحدة الوجود في الفارسية، وله كتاب موسوم بالإنسان الكامل؛ لذلك ساعد على نشر هذا المصطلح الشهير أيضا.¹⁹⁹

ويعتبر العالم المسلم الصيني ليوشيه (Liu chih) مترجم "لوائح" الجامي إلى الصينية صاحب أكثر الكتب تأثيرا في الفكر الإسلامي الصيني، وهو موسوم بـ"الطبيعة والمبدأ في الإسلام". وقد نشر سنة 1704 م، وهو يتطرّق إلى مبدأ وحدة الوجود، ويستخدم عبارة "اللاتعين" التي أدخلها صدر الدين القونوي في الاستعمال الجاري وتواتر استخدامها لديه.²⁰⁰

¹⁹⁶ - محسن الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، 1406 هـ / 1986 م / 2 / 400

¹⁹⁷ - يعد Wang Tai - Yü عالم مسلم يفسر التعاليم الإسلامية في اللغة الصينية، وقد نشر كتابه الموسوم بـ (The real commentary ont he true teaching) سنة 1642م، وهو دراسة مطوّلة لمبادئ الإسلام.

¹⁹⁸ - انظر Sachiko Murata, chinese Gleams of Sufi light (New York, 2000) وهو يحتوي على ترجمة للوائح الجامي تعود إلى القرن 17 مرفقة بمصطلحات كونفوشيوسية من الصينية

¹⁹⁹ - انظر:

Sachiko Murata, Islamic neo-confucianism by liu chih (www.asiawind.com)

²⁰⁰ - المرجع نفسه.

أثر صدر الدين القونوي في الطرائق الصوفية

1- أثره في الطريقة الشاذلية

أسست الشاذلية خلال القرنين السابع والثامن للهجرة، وانتشرت أساسا في شمال إفريقيا وفي غرب العالم الإسلامي،²⁰¹ ويرجع أول اتصال بين مدرسة ابن عربي وممثلها القونوي والطريقة الشاذلية إلى لقاء مختلف حول مدى صحة وقوعه بين أبي الحسن الشاذلي (ت665هـ) إمام هذه الطريقة وصدر الدين القونوي.

ويستند المؤكدون وقوع هذا اللقاء إلى خبر رواه ابن عطاء الله الإسكندري (ت 709 هـ) في كتابه "لطائف المنن"؛ حيث يقول: "ولما قدم الشيخ صدر الدين القونوي إلى ديار مصر رسولا اجتمع بالشيخ أبي الحسن، وتكلم بحضرته بعلم كثيرة والشيخ مطرق إلى أن استوفى الشيخ صدر الدين كلامه، فرفع الشيخ أبو الحسن رأسه وقال: أخبروني أين قطب الزمان اليوم؟ ومن هو صديقه، وما علومه؟ قال: فسكت الشيخ صدر الدين ولم يردّ جوابا".²⁰²

والملاحظ أنّ هذا الخبر لا يتواتر في كتب المناقب الشاذلية على غرار كتاب "درّة الأسرار وتحفة الأبرار في مناقب ذي الكعب العلي والفخر الشامخ الجلي القطب الأكبر والغوث الأشهر سيدي علي أبي الحسن الشاذلي" فهو لا أثر فيه للقاء القونوي بالشاذلي في مصر على الرغم من وجود فصل فيه موسوم بـ"أمر النبي (ص) للشيخ (الشاذلي) بالانتقال للديار المصرية".²⁰³

وقد استنتج بعض الدارسين من الخبر المذكور رفض الشاذلي سلطة ابن عربي وتفوقه عليه. وهذا الفهم يفترض أنّ القونوي كان مجبرا على التزام الصّمت تسليما بأنّ قطب الزمان هو الشاذلي، وليس ابن عربي.²⁰⁴ وقد جوبه هذا التأويل بالنقد لأنّ ابن عربي لم يدع لنفسه منصب القطب فضلا عن أنّ تاريخ اللقاء بين الرجلين الذي ينبغي أن يكون وقع خلال رحلة القونوي الثانية إلى مصر؛ أي في حدود سنة 640هـ يتناقض مع وقوع نقاش حول القطب تناقضا تاما لأنّ ابن عربي كان قد مات قبل ذلك بسنتين.²⁰⁵ وعلاوة على هذا، فإن القونوي

²⁰¹ - انظر فصل "تصوّف" (Tassawwuf) لـ ماسينيون وراذلك د.م.إ. ط2، (بالفرنسية) 339/10

²⁰² - العارف بالله ابن عطاء الله الإسكندري، لطائف المنن، تحقيق عبد الحليم محمود، ط2، مصر، دار المعارف (د.ت) ص 88

²⁰³ - محمد بن أبي القاسم الحميري المعروف بابن الصباغ، درّة الأسرار، ص ص 13-24

²⁰⁴ - هذا الموقف ينسب إلى الباحث الغربي بول نوييا (P. Nwyia) راجع:

Eric Geogroy, De L'Influence d'Ibn Arabi sur l'école shadhilie egyptienne (époque mamelouke: premiers jalons), www.religioperennis.org

²⁰⁵ - انظر:

كان يعرف جيدا أن وظيفة القطب التي تعود ضمنا في هذا الخبر إلى الشاذلي لا تتسجم مع وظيفة ختم الولاية التي يؤكد ابن عربي أنه يحتفظ بها²⁰⁶. وبناء على هذا، كان لكل من العلمين وظيفة مختلفة عن وظيفة الآخر، وهذا ما جعل الشاذلي يأخذ مسافة من ابن عربي لإنشاء دائرته الروحية الخاصة. ومهما يكن من أمر، يجدر - حسب بعض الدارسين- الحديث عن اعتراف متبادل بين العلمين عوض الحديث عن تنافس بينهما²⁰⁷. ويعضد هذا الرأي تطوّر الطريقة الشاذلية في اتجاه الاقتراب من الشيخ ابن عربي، فهي تعدّ الطريقة التي ورثت تعاليم ابن عربي أكثر من أية طريقة صوفية أخرى.

وقد ظهر هذا التأثير بتعاليم ابن عربي وبمفاهيم مدرسته منذ عطاء الله الإسكندري الذي أبدى إجلاله لابن عربي في كتابه "لطائف المنن"؛ حيث تطرّق إلى فكرة الإنسان الكامل من خلال عبارة السيد الكامل، واستخدم بشكل متواتر كلمة البرزخ التي تعود إلى وظيفة الرسول في الوساطة بين الله والناس كما تواتر لديه الحديث عن نظرية وحدة الوجود. وقد تعزّز تأثير مدرسة ابن عربي والقونوي في شيوخ الشاذلية من خلال أعلام الطريقة الوفاية المتفرّعة من الشاذلية وعلى رأسها محمد وفا (ت 765هـ) وابنه علي وفا (ت 807هـ). ولئن كان فكرهما الصوفي يندرج في إطار خط ابن عربي، فإنهما لم يؤلّفا شروحا لكتبه، ولم يذكر اسمهما إلا أنّ ما كتبا يستند إلى فلسفته استنادا أساسيا؛ فكتاب "الأزل"⁵ لمحمد وفا، وإن كان شرحا لأسماء الله، فإنّه نصّ فلسفي يحتذي بتعاليم ابن عربي بصفة جلية. ويصفه الناشر في تقديمه لهذا الكتاب باعتباره ينتمي إلى تيار وحدة الوجود. والملاحظ أنّ هذا النص يستخدم المصطلحات الفلسفية بانتظام لذلك من المتصور تأثر الكاتب بمصنّفات أتباع ابن عربي، مثل القونوي الذي شرح كتب أستاذه بألفاظ فلسفية مشابهة²⁰⁸. وقد كان أبو المواهب بن زغان (ت 882هـ) أحد ممثلي الطريقة الوفاية المغربية ذا ميل قويّ إلى ابن عربي، ومن أشدّ المدافعين عنه²⁰⁹ وله كتاب "التجليات" الذي يذكر بكتاب لابن عربي بهذا العنوان.

وفي القرن العاشر للهجرة قام عبد الوهاب الشعراني (ت 973هـ/1565م) بنشر تعاليم ابن عربي في مصر. والشعراني فقيه شافعي ومتصوّف شاذلي أسهم من خلال كتبه في تقريب كتابي "الفتوحات المكية"

Richard J.A. Mc Gregor, Sanctity and mysticism in medieval egypt: the wafa sufi order and the legacy of Ibn Arabi, State University of New York Press, washington, 2004, p.31

²⁰⁶- انظر:

M.Chodkiewicz, Le sceau des Saints, Paris, 1986, p. 173

²⁰⁷- راجع قوافروي Geoffroy، المرجع المذكور.

⁵- محمد وفا، كتاب الأزل، تحقيق عاصم الكيالي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2006

²⁰⁸- انظر:

Richard, Sanctity and mysticism, ibid, p. 76

²⁰⁹- السخاوي، الضوء اللامع، بيروت (د.ت) 66/7

و"فصوص الحكم" من عامّة الناس²¹⁰. وحاول أيضا عقد الصلة بين تعاليم الشاذلي وتعاليم ابن عربي وبرز دفاعه عن ابن عربي من خلال كتابه "الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر"،²¹¹ وهو بمثابة منتخبات من كتاب اختصر به الشعراني "الفتوحات المكية" سماه "لوايح الأنوار القدسية"، ولما كان الشعراني من المدافعين عن ابن عربي، فإنّه لم يكن ليهمل أعلام مدرسته؛ لذلك ألفناه يترجم للقونوي في "الطبقات الكبرى" ويترجم عليه، ويذكر أنّه صاحب ابن عربي، وأن له تفسيراً للفتاحة ومؤلفات أخرى.²¹²

ومن أهمّ الأمثلة على احتفاء أهل المغرب الإسلامي بابن عربي ومدرسته، إحياء الأمير عبد القادر الجزائري (ت 1883م) لتراث الشيخ الأكبر من خلال تقديم دروس عن بعض مؤلفاته إثر انتقاله إلى دمشق. وقد أعاد نشر "الفتوحات المكية" لابن عربي. ومن أبرز تجليات تأثير القونوي في الأمير عبد القادر الجزائري (ت 1300 هـ) الذي كان قادري الانتساب شاذلي السلوك- شرحه ل"رسالة الغيب" لصدر الدين القونوي ضمن الموقف الثامن والستين وثلاثمائة من كتابه "المواقف الروحية والفيوضات السبوحية"²¹³. ويبدو أنّه لا علاقة لهذه الرسالة بكتاب "مفتاح الغيب" للقونوي²¹⁴. وتدور هذه الرسالة على فكرة وحدة الوجود ونظريّة الإنسان الكامل المستلهمة من مدرسة ابن عربي. وليس من المستغرب أن يتأثر الأمير عبد القادر بابن عربي وبالقونوي؛ فقد نفاه الاستعمار الفرنسي خارج الجزائر، فاستقرّ في بلاد الشام، ثم أقام في مدينة بورسا التركية عام 1855. وإثر ذلك بدأ كتابة "المواقف" وأقام في جوار مدفن الشيخ ابن عربي إلى أن توفي، ودفن بجوار قبره. ويعدّ كتاب "المواقف" إعادة إحياء لابن عربي إن من حيث المسائل الماورائية والكلامية المحورية أو من ناحية مصطلحاته، فكلها مماثلة لما يتوقّر في كتابات ابن عربي وشراحه كالقونوي والكاشاني.

وقد أسهم كتاب "المواقف" في نشر تعاليم ابن عربي لا في البلدان العربية والإسلامية فحسب، وإنما في أوروبا أيضا. ومن أشهر من تأثروا به الشيخ عبد الرحمان عليش (ت 1930م) المالكي الشاذلي، وانتقل هذا التأثير إلى أوروبا من خلال تلميذه الصوفي رني قانون (René Guénon) المعروف باسم الشيخ عبد الواحد

²¹⁰- انظر:

Michael Winter, Society and Religion in Early Ottoman Egypt: Studies in the Writings of Abd al Wahhab al-sha'rani, New Brunswick, NJ Transaction books, 1982

²¹¹- حققه عبد الله محمود محمد عمر، بيروت، دار الكتب العلمية 1998

²¹²- يقول الشعراني: "ومنهم الشيخ محمد القونوي الصوفي رحمه الله صاحب ابن عربي له تفسير الفتاحة في مجلد وله مؤلفات أخر، عاش نيفا وستين سنة، ومات سنة اثنتين وسبعين وستمانه بقونية وأوصى أن ينقل تابوته إلى دمشق يدفن عند الشيخ محي الدين بن عربي شيخه فلم يتفق وكان مبتلى بالإنكار عليه إلى أن مات رضي الله عنه" الطبقات الكبرى، ص 291-292 (نسخة الكترونية بموقع مكتبة المصطفى (www.al-mostafa.com))

²¹³- الأمير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي، ط بيروت، دار الكتب العلمية، 2004، ص ص 489-495

²¹⁴- زعيم خنشلاوي، شرح رسالة الغيب لصدر الدين القونوي، متن كتاب المواقف للأمير عبد القادر الجزائري، الندوة الدولية الأولى حول القونوي، 2008، ص 296.

ويصف الجامي في شرحه القونوي بالشيخ الكبير والشيخ الكامل؛ أما ابن عربي، فيصفه بالشيخ الأكمل²²⁰. ويحيل على عدد من مصنفاته مثل "الفكوك" و"تفسير الفاتحة" وبعض رسائله. ويستعيد بعض أطروحاته الأساسية المتعلقة بوحدة الوجود والإنسان الكامل والحضرات الخمس.

وتواصل تأثر أعلام النقشبندية بالقونوي في العصور اللاحقة؛ فقد وقفنا مثلاً على شرح لكتاب "الفكوك" للقونوي للسيد أسعد البلخي النقشبندي (ت 1046هـ) وصفه المحبي في كتابه "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر" بأنه شرح يدلّ على علو كعبه في علم التصوّف.²²¹

وفي القرن الثاني عشر للهجرة، كان عبد الغني النابلسي (ت 1144هـ) من أشهر شيوخ النقشبندية المدافعين عن تعاليم مدرسة ابن عربي والقونوي. وقد تجلّى ذلك من خلال كتابه "جواهر النصوص في حلّ كلمات الفصوص لابن عربي"، وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة وعلى هامشه شرح آخر لأحد أعلام النقشبندية الذين تأثروا بالقونوي بشكل كبير وجلي هو شرح الجامي. وكان النابلسي من أشدّ المدافعين عن مبدأ وحدة الوجود. وقد أُلّف فيه كتابين هما "الظلّ الممدود في معنى وحدة الوجود" و"إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود".

وفي القرن 13 هـ، ذكر أحمد النقشبندي الخالدي (ت 1250هـ) كتاب "مفتاح الغيب للقونوي" باعتباره من أهم كتب المتصوفة، وبين أن من كبار الأولياء بعد القرون الثلاثة الأولى للهجرة صدر الدين القونوي³. وبرز نقشبندي آخر في هذا القرن متأثراً بابن عربي وتلاميذه، وهو الشيخ سليمان بن خوجة إبراهيم قبلان الحسيني المشتهر ببابا خوجة بن إبراهيم بن محمد القندوزي البلخي (ت 1294هـ)، وقد أقام هذا الفقيه الحنفي المنتسب إلى الطريقة النقشبندية في مدينة قونية ثلاث سنين وستة أشهر، نسخ فيها بنفسه كتابي "الفتوحات المكية" و"الفصوص" من النسخ التي كانت بخط مؤلفها محيي الدين بن عربي، وهي كتب كانت محفوظة بالمكتبة الكائنة في مقبرة الشيخ صدر الدين القونوي. وقد وصلنا من هذا المتصوّف كتاب واحد موسوم بـ"ينابيع المودة لذوي القربى"²²².

²²⁰ انظر شرح الجامي على الفصوص على هامش شرح عبد الغني النابلسي "شرح جواهر النصوص في حلّ كلمات الفصوص"، مصر، المطبعة العامرة الشرقية 1323هـ، 71/1

²²¹ المحبي، خلاصة الأثر، 403/1

3- أحمد النقشبندي الخالدي، جامع الأصول الأولياء وأوصافهم، تحقيق أديب نصر الدين، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، 1997، ص 29، 18، 17

²²² انظر نسخة إلكترونية منه على الموقع <http://shiaonlineibrary.co>

وقد طبع هذا الكتاب باسطنبول سنة 1302 هـ وتوجد نسخة حجرية مطبوعة في مدينة مشهد سنة 1308 هـ.

وقد اخترق تأثير صدر الدين القونوي طرائق صوفية أخرى، من قبيل الطريقة الخلوتية²²³. ويظهر ذلك من خلال قيام أحد شيوخ هذه الطريقة هو عثمان بن السيد فتح الله الشمني الرومي الشهير بآت بازادي (ت 1102هـ) بكتابة حاشية على تفسير الفاتحة وسمها بـ"مرآة أسرار العرفان على إعجاز البيان"، وله فضلا عن ذلك "مصباح الغيب في شرح مفتاح الغيب" للقونوي. ويعدّ هذا المتصوّف من المقننين بتعاليم مدرسة ابن عربي وتلاميذه. وسار على نفس المسلك إسماعيل حقي البرسوي الخلوتي؛ فقد أحال في تفسيره "روح البيان" على الشيخ القونوي، وكتب رسالة "الحضرات الخمس الإلهية" بدا من خلالها متأثراً بأعلام مدرسة ابن عربي عامّة، وبالقونوي وكتابه "إعجاز البيان" بصفة خاصّة.

وقد امتدّ تأثير القونوي في العصر الحديث إلى عدة طرائق صوفية منها التيجانية؛ فقد وجدنا أحد أعلامها، وهو عمر بن سعيد الفوتي (ت 1280هـ) يحيل على كتاب "إعجاز البيان" للقونوي في مصنّفه "رمح حزب الرحيم على محور حزب الرحيم"، ويعتبر صاحب هذا الكتاب من أبرز علماء غرب إفريقيا ومجاهديه؛ فقد قام بحركة إصلاحية كبيرة هدفت إلى نشر الإسلام، وإحياء روح الجهاد في مناطق واسعة من حوضي نهر السنغال والنيجر.²²⁴

وعلاوة على ذلك أحال محمد الكسنزان الحسيني (ت 1978م) شيخ الطريقة القادرية الكسنزانية في العراق على "إعجاز البيان" للقونوي في بعض كتاباته.

²²³ - تنسب هذه الطريقة الصوفية إلى محمد بن أحمد الخلوتي. وهو من أنمة الصوفية في خراسان. وقد ادعى أنّه أخذ طريقته من النبي (ص) مباشرة في البقعة لا في المنام. والخلوتي نسبة إلى الخلوة الصوفية. وكان من أتباع الطريقة السهروردية. وأخذ التصوّف عن إبراهيم الزاهد ثم استقلّ بطريقته. وقد توفي في مصر سنة 986هـ.

²²⁴ - انظر: الحاج عمر الفوتي وحركته الإصلاحية على العنوان التالي: www.mahah.info/browse.php

كبار ممثلي فلسفة ابن سينا لبنة إضافية منحها الشيخ صدر الدين لتعاليم مدرسة ابن عربي؛ فقد سعى من خلالها إلى المزج بين الطريقة العقلية للفلاسفة وطريقة الكشف الصوفية. وهكذا أسهم القونوي في تأسيس مدرسة أكثر تشبعا بالفلسفة استمرت تعاليمها من خلال كتبه وتلاميذه، ونافست عن طريقهم تأثيرات مدارس صوفية وفلسفية عريقة، مثل مدرسة الإشراق للسهروردي. ولعلّ الخصوصية التي اتسمت بها مؤلفات صدر الدين القونوي هي التي أهلتها لتكون ذات فعل وتأثير قويين؛ فدفعت كثيرا من العلماء إلى شرحها والتعليق عليها، وسجلت حضورها في المدارس الفارسية والتركية بشكل خاص، كما كان لها أثرها الجلي في كتب المتصوفة، وفي كثير من الطرائق الصوفية مثلما بينا. وهذا ما يؤدي بنا إلى القول إن كتبه قننت وضبطت، وسيجت قراءات أجيال من العلماء لكتب ابن عربي.

وما كان هذا ليتحقق لو لا جملة من العوامل المتضافرة منها دور تلاميذ القونوي الذين تأثروا بدروسه وبكتبه، وردّوا مصطلحاته ومفاهيمه وتعاليمه، وأسهموا في نشرها إلى أماكن قسبية وعبر العصور المتعاقبة. وقد كان لتنوع تلاميذه وانتمائهم إلى ثقافات وأعراق مختلفة دور في هذا، فضلا عن ازدواجية اللغات التي كانوا يكتبون بها آثارهم، وهي العربية والفارسية.

ومن هذه العوامل أيضا، قيام القونوي بتطوير كثير من آراء مدرسة ابن عربي وتوضيحها على غرار وحدة الوجود، بل إن بعض هذه الآراء يعود الفضل إلى صدر الدين في إدخالها. فحسب الباحث شتيك (Chittick)، فإن ابن عربي كثيرا ما يوصف في المصادر الإسلامية بأنه منشئ مبدأ وحدة الوجود مع أن هذه العبارة غير مذكورة في كتبه. وأول من أدخل هذه العبارة في نظره هو صدر الدين القونوي، ثم تواتر ذكرها لدى عفيف الدين التلمساني تلميذ القونوي²²⁷. والظاهر أنّ من أهمّ تجليات طرافة القونوي وإضافاته تعامله مع كثير من المصطلحات؛ فمصطلح التعيين على سبيل المثال استخدمه ابن عربي أحيانا لكنّه أضحى مصطلحا مهمّا من خلال كتابات القونوي وتلاميذه. أمّا مصطلح الجلاء والاستجلاء، فيبدو أنّ القونوي جعل استخدامهما متواترا. أمّا مصطلح الواحدية، فقد بدأ يوضع في تقابل مع مصطلح الأحدية من خلال كتابات القونوي والفرغاني²²⁸. وفي كتاب "النصوص" مثلا، نجد ذخيرة من المصطلحات التي تكشف حسب محقق هذا الكتاب عن اتجاه جديد المطلق أو فكره إطلاق الذات اللاهية دون ميل إلى تشبيهه أو تجسيم أو حلول أو اتحاد.

²²⁷ - W. Chittick, Imaginal worlds, 1994

²²⁸ - انظر:

Sachiko Murata, W. Chittick, chinese gleams of sufi light, p229



MominounWithoutBorders



@ Mominoun_sm



Mominoun

الرباط - المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هاتف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com